للشيخ محمد متولى الشعراوى



تفسير سورة
الفيل وقريش

دار المسلم

اهداءات ٢٠٠٢

د/ ابراهيم محمد ابراهيم حريبة
القاهرة

محمد متولى الشعراوى

تفسير

سورة الفيل وقريش

دار المسلم





احمدك ربى واستعينك ، واصلى واسلم على خير خلقك سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

وبعد :

انتهينا فى لقائنا السابق عن الخواطر حول سورة « الهمزة » وبينا أنها تشتمل على سيئات صفات ، وعلى ما يناسب هذه السيئات من عقوبات .. استهلت العقوبات بقول الحق سبحانه وتعالى « ويل » فهذه مدلولها عنده ، لأن الذى يهدد ، يهدد بالكلمة فيقف بمدلول الكلمة عنده . فاذا كان هناك ضعيف يقول لقوى ويل لك منى ، فستحدد على مقدار قوته ، واذا كان الحق الجبار هو الذى يقول « ويل » فستفسر « ويل » بما يناسب قدرة الله ، ويناسب امكانياته .

ثم بعد ذلك شرح ذلك « الويل » فى آخر السورة .. الويل لمن ؟ لصاحب هذه الصفات : الهمزة ، اللمزة « **الذى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده** » يبقى كم سيئة فيه ؟ السيئة الأولى انه همزة ، السيئة الثانية أنه جمع مالا وعدده ، ثم أمل فى أن ذلك المال يخلده .

بعد ذلك شرح الحق سبحانه وتعالى شرح للويل ((**كلا لينبذن فى الحطمة وما ادراك ما الحطمة**)) يعنى لا تأخذ الحطمة بمعناها الذى تعرفه فى لغتك ، لأن كما قلنا أن اللفظ حين يصدر من الحق يفسر بامكانيات الحق ((**نار الله الموقدة**)) أولا وصفها بأنها نار ، ونار مضافة الى الله وموقدة ، ((**التى تطلع على الأفئدة**)) اى تبالغ فى احراقها حتى تدخل على القلب الذى هو لب الجسم ((**انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة**)) .

نجد أن السورة ناسب الجزاء فيها الذنب . كيف ؟ الهمزة اللمزة كسر أعراض الناس ، لأنه يعيب ويغتاب والغيبة والعيب كسر لأعراض الناس ، فكما حصل منه كسر لاعراض الناس ، كان ولابد أن يكون فى الجزاء ما يقابل ذلك الكسر لاعراض الناس . ما هو الكسر ؟ حطمة ، التى تحطم أضلاعه .. يبقى كما كسر الأعراض ، يأتى له تحطيم الاضلاع . هذه واحدة .

الهمزة اللمزة ، يكسر الاعراض ، فناسب فى قوله ((**لينبذن فى الحطمة**)) والذى يهمز ويلمز ، الهمز واللمز احتقار من محتقر لمحتقر ، قد لا يكون محتقرا فى ذاته ، وانما محتقر فى نظر الهامز واللامز .. المحتقر عادة يكون غير مأبوه له ، غير منظور له ، فلابد أن يكون فى الجزاء ما يناسب ذلك الذنب ((**لينبذن**)) والنبذ طرح مهمل ، فكما انه حصل منه الهمز واللمز يبقى ((**لينبذن**)) .. ((**كلا لينبذن فى الحطمة ، وما ادراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التى تطلع على**

الأفئدة » . اطلاعها على الأفئدة معناها إنها ستكسر الحجب ، وتصل الى أحسن شيء فى الانسان وهو القلب الذى هو مناط النيات فى الأعمال . لأن كل عمل سلوكى من الجوارح يكون ناشئا عن عقيدة تعمر القلب . اذن فالقلب هو الذى يسير هذه الجوارح على وفق مبدئه . كما أنه كان يجمع المال ويضعه فى الأماكن ويوصد عليه **« انها عليهم مؤصدة »** .. وكما انه طال أمله فيه **« يحسب أن ماله أخلده »** قال الحق **« فى عمد ممددة »** طويلة .. اذن فكل ذنب فى السورة مقابل بجزاء يناسبه .

السورة تضمنت العذاب الغيبى الذى يخبرنا الحق به ، الذى يحدث يوم القيامة . حين يحدثنا الحق سبحانه وتعالى عن غيب يحدث بعد ذلك ، قد يستقبله الناس بأنه خبر ، والخبر قد تحوم حوله أولا الظنون فى انه يتحقق او لا يتحقق ، فيأتى الحق سبحانه وتعالى فى الدنيا المحسة لنا ، ويجرى شيئا من عذابه وانتقامه على بعض الكافرين .. فاذا ما أجرى عذابا وانتقاما على الكافرين فى الدنيا المحسوسة تبين لنا أن الذى فعل ذلك فى دنيانا المحسوسة حين يوعد ، قادر على انفاذ ما يوعد . ولو أن كل عذاب آخر للآخرة فصار غيبا ، لم يكن من المحسوس دليل على ذلك الغيب .

فيأتى الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك الغيب فيقول **« كلا لينبذن فى الحطمة »** يعنى يوم القيامة **« وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التى تطلع على الأفئدة ، انها**

عليهم مؤصدة ، فى عمد ممددة » هـذا وعيد بما يحدث فى الغيب ، فكأن الحـق أراد أن يدلك على صـدق نفاذ ذلك الوعيد ، وأن وعيـده لا يتخلف ، وان الكون كله فى يده ، « كن فيكون » فاجرى بعض الأشياء على الكافرين فى دنيانا المحسوسة لننتقل من الغيب الى الحس ، فتصدق ان الذى اجرى ذلك فى المحس المشاهد ، قادر على أجراء ذلك فيمـا يغيب عنا ، فناسب أن يـكون بعـد ذلك ، بعض الاشـياء التى اجراها الحـق فى عالم الدنيـا ، وعالم الحس وعالم الأسباب المرئية ، على بعض القوم الكافرين ، فقال الذى اوعد بهذا الوعيد قادر على انفاذه كما أنفذ وعيدا ، وكما انفذ عذابا فى دنياكم المرئية « الم تر كيف فعل ربك باصـحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول » .. هذه حادثة واقعة . فكأن الحق نقلنا من الوعيد بأمر غيبى الى انه قادر على انفاذ ذلك . بدليل أنه أجرى أشياء فوق متناول البشر ، والطبيعة او الأسباب العادية لا تأتى بها ، وما جاءت بها الا قدرته فى أن يعدد ، وهذه مسـألة محسة ملموسة لهم جميعا التى هى أصحاب الفيل .

« الم تر » ايكون وعيد الله لهؤلاء فى القيامة ، غير محقق ، وقد حقق الله أمثاله من الجزاء ومن العذاب ومن العقاب ، فى دنياكم المحسـوسة ؟ . اذن فالذى يجرى ذلك بغير قانون الأسباب ، ولا العلل ولا المعلولات ولا يتدخل بشر ، وليس

هناك الا القدرة التى تعمل فى أصحاب الفيل ما صنعت . اذن هو قادر على أن ينفذ ذلك العذاب .

تلك هى مناسبة السـورة للسـورة ، يعنى لماذا جاءت سورة « الفيل » بعد سورة « الهمزة » .

هنا حينما نستقبل السورة نجد أنها بدئت برسم هو (ا) و (ل) و (م) الا ان ذلك الرسم نطق على غير ما نطق به رسم آخر لـ (ا) و (ل) و (م) مرسومة بشكل واحد فى الرسم الكتابى ، قرئت فى البقرة (الف) ـ (لام) ـ (ميم) وهنا قرئت (الم) والرسم واحد .. فما الذى جعل رسما يقرأ هكذا ، ويقرأ هكذا هناك ؟ . هذا يدل على أن قراءة القرآن توقيفية ، ليس معنى اننى كلما أرى (ا) و (ل) و (م) لا اقرأها (الف لام ميم) ولا اقرأها (الم) .. انظر الموقف اوقفنى أن أقرأ هذه (الف لام ميم) . واقرأ هذه (الم) والا فالرسم واحد ، فلماذا اقرأ هذه (الف لام ميم) مقطعة ، ولماذا اقرأ هذه (الم) ؟ يبقى دليل على أن فيه موقف وقفنى وقال لى هذه تقرأ هكذا ، وهذه تقرأ هكذا . يلاحظ فى القرآن انه مادام توقيفيا بهذا الشـكل ، نلاحظ أن القرآن له خصوصيات كثيرة :

الخصوصية الأولى خصوصية التناول . انت تتناول أى كتاب ، فلا يشترط فيك أن تكون طاهرا ، وهـذا الكتـاب بخصوصه يشترط أن تكون طاهرا ، هذه أول قداسـة . لماذا ؟ لتربية المهابة لذلك الكتاب ، وكأنه ليس كتابا عاديا

تتناوله كما تتناول مطلق كتاب . قبل أن تتنـاوله ، يبغى تناوله بنية ، ولذلك يجب أن تكون متوضأ ، وتقبل عليه وانت طاهر . هذه أول شيء لتربية المهابة .

ثانيا انه يختلف في بعض رسمه عن قانون الكتابة ، وقانون الرسم الاملائي ، ليس كله ، يكفي أن يكون في بعضه . ولذلك مثلا تجد لو استقرأنا « بسم الله الرحمن الرحيم » وجدناها في كل سور القرآن بغير (ألف) الباء موصلة بالسين . لكن اذا قرأت أول آيه نزلت تجد في قوله **« اقرأ باسم ربك »** تجد الباء فيها ألف . وما الفرق بين بسم (هنا) و (باسم) هناك ؟ .

الذين قالوا أن العرب لم يكن عندهم قواعد الاملاء ، ولا يعرفون قانون الكتابة فكانوا يكتبونها حسبما اتفق .. نقول : لو كانوا مخطئين في حذف الألف لما اثبتوها هنا .. اذن فكتابتهم مرة على صحة القاعدة الاملائية **« اقرأ باسم »** ومرة يكتبونها بغير ألف « بسم » يدل على أن ذلك توقيف ، والا لو كان خطأ في الكتابة لصار الخطأ في كل « بسم » وكانت كل « بسم » أما مكتوبة بالألف واما مكتوبة بدون ألف ، لكن بعضها كتب بالألف ، وبعضها كتب بدون ألف ، مما يدل ايضا على أن ذلك توقيف .

ومن الموقف ؟ القرآن تناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبريل ، وبلغه اليهم وقال : اكتبوه . فما الذى جعل الصحابة يكتبون هذه مرة بألف ، وتلك مرة أخرى

بغير الف ؟ لابد أن تكون هناك اشارات من الموقف صلى الله عليه وسلم . ذلك فى الرسم . ودليل ذلك انك تجـد مثلا كلمة « تبارك » فى القرآن تجد بعضــها محـذوف الألف ، وبعضها ممدود الألف ، وبعضها ليس فيه الف .. هـذه كلمة واحدة مرة كتبت بالف ، ومرة كتبت بغير الف . لازم هنا توقيف ، انها هنا تكتب بالف ، وهنا تكتب بغير الف .

مثلا ((ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون)) استقرىء كلمة البنات فى القرآن فستجدها مرة مكتوبة البنات بالف ، ومرة تحذف الألف ويكتفى بالمد اذن فلو كان المسألة خطأ كتابيا لكان الخطأ سرى فى كل مدلولات اللفظ ومطلوباته .

اذن فالقرآن فيه خاصية تناول ، وفيه خاصية نطق ، بدليل أننى قرأت هذه (ألف لام ميم) وهذه اقرأها (الم) .. ما الفرق بين (ألف لام ميم) و (الم) ؟ (الف لام ميم) انت تقرأ فيها اسماء الحروف ، وفى (الم) تقرأ مسميات الحروف .

اذن فعندى الحروف ـــ هــذا المقطع الصوتى ـــ لهــا اسماء ، ولها مسميات : الاسم الف ، لكن مسماها ماذا ؟ عندما انطلقها فى الكلام لا أنطقها الف ، انما أنطقها (أ) ان كانت بالفتحة (ا) ان كانت بالكسرة (أ) ان كانت بالضمة .. كلمة (واو) هذا اسم الحرف انما انطقه فى اللفظ (و) اذن (و) هذا هو المسمى ، و (واو) اسم المدلول .. فمرة

قرئت الحروف هذه قراءة اسمائها ، ومرة قرئت مسمياتها .. ف (ألف لام ميم) ان قرات اسماءها ماذا تقول ؟ الف هذا اسمها ولام هذا اسمها وميم هذا اسمها ، لكن عندما اقرا (الم) اكون قد قرات مسميات الحروف ليس اسماء الحروف ..

حين تنظر هذه النظرة ، نجد اذن هناك فرق بين قراءة الاسماء وقراءة المسميات .. انت تاتى للتلميذ الصغير وتقول له : اكتب كتب .. يكتب كتب .. تقول له : إستهجاها .. فيقول : كاف فتحة كَ ، يبقى كأنه لما استهجاها قطعها ، ذكر الاسم ثم جاء بمنطوق المسمى كاف فتحة هذه اسمها الاسم تنطق ماذا ؟ يقول : كَ تاء فتحة تَ تبقى كت .. باء فتحة بَ تبقى كتب .. اذن فهو معنى استهجاها انه جاء باسماء الحروف ، ثم جاء بعد ذلك بمسميات الحروف .

الذى يفرق بين الأسماء فى الحروف والمسميات ، ليس كل ناطق ، والا فالأمى كالمتعلم ينطق بمسميات الحروف . فالأمى يقول : كتب وقرا واكل .. هل تكلم أم لا ؟ . تلك مسميات الحروف .. لكن لا يعرف ان كتب مكونة من كاف مفتوحة ، وتاء مفتوحة ، وباء مفتوحة ، الا المتعلم . محمد صلى الله عليه وسلم أمى فما الذى نقله من قراءة مسميات الحروف الى قراءة اسماء الحروف مع ان أسماء الحروف لا يرتاض عليها الا متعلم وهم جميعا يشهدون بأنه امى لم يقعد الى معلم ؟ يبقى هذا دليل على ماذا ؟ على ان الذى اتخذه رسولا علمه .

بعد هذه النظرة نجد ((**ألم تر كيف فعل ربك**)) (ألم) هذه مكونة من همزة ومكونة من حرف آخر اسمه لام والميم . هنا الهمزة كلمة ولام بكلمة .. نحن نعرف أن لغتنـا مكونة من كلمة ، والكلمة مدلولها اما اسم ، واما فعل ، واما حرف .. ونوع رابع يسمونه الخالفه ، الذى لا هو اسم صريح ولا هو فعل يسمونه اسم فعل ، مثل هيهات بمعنى بعـد ، وشتان بمعنى افترق ، لا تقول عنها اسم ، ولا تقول عنهـا فعل ، وانما هى اسم فعل ، آخذه من الاثنين .. فلو نظرت الى الحرف والى الاسم والى الفعل كلها تدخـل فى مدلول كلمة ، الا أن كل واحـد له مدلول . الـكلمة هذه تدل على معنى قطعا ، اذن حروف المبنى لا تدخل معنا ، معنى الكاف من كتب والتاء والباء هذه اسمها حروف كتابة كلمات ، انما باء الجر ، تاء القسم ، واو العطف ، هـذه كلهـا حروف معـان ، ليست حروف مبـان ، حرف له معنى .. كتبت بالقلم ، يبقى الباء هذه ليست حرف مبنى . لا .. حرف جاء لمعنى . والفعل له معنى ، يبقى كل واحد من أقسـام الكلمة له معنى ، الا أن ذلك المعنى اما أن يكون مستقلا بالفهم ، أو غير مسـتقل بالفهم . مسـتقل بالفهـم بحيث اذا نطقت الكلمة أصبح لها معنى مستقل وتفهمها أنت عنـدما تقول (محمد) هى كلمـة عنـدما تقول (محمـد) تأتى صـورة الشـخص المسـمى محمـد ، تبقى أدت معنى أم لا ؟ .. (أسماء) فهم منها معنى أم لا ؟ فهم منها معنى .. (كتب) فهم منها معنى .. كتبت بالقلم .. الباء لها معنى .. اذن فكل قسم من أقسـام الكلمة يدل على معنى ، لكن هذا المعنى

أهو مستقل بالفهم أم لا يظهر معناه الا اذا انضم الى شيء ؟ انا لو قلت (باء) وحـدها لا تعطيني معنى الا اذا انضمت الباء الى القلم .. قطعت بالسكين يبقى اذن اذا دل على معنى غير مستقل بالفهم بل احتاج الى شيء ، كأن يحتاج الى فعل يتعلق به نقول هذا حرف .. وان دل على معنى هو مستقل بالفهم ؟ لا يبقى جزء من مدلول المعنى يبقى هذا الفعل ، وان لم يكن الزمن جزء من مدلول المعنى يبقى هذا الاسـم .. (محمد) دل على معنى ، والمعنى مستقل بالفهم ، انما هل دخل فيه زمن ماض او مضارع او مستقبل ؟ .. لا .. يبقى هذا اسمه اسم .. لكن (كتب) دل على معنى والزمن جزء منه لأنه كتب فى الماضى ، يبقى هذا فعل ■

هنا الهمزة التى دخلت فى (الم) همزة استفهام مثلما تقـول : اقام زيد ؟ . تسـتفهم .. امحمـد عنـدك تبقى همزة اسـتفهام .. ولم حـرف للنفى . وحـرف للنفى ذلك معناه ، اما عمله فشيء آخر . فيه فرق بين معناه وبين عمله . عمله أن يجزم انما هو مدلولة نفى ، دخل على المضارع الصالح للحال الآن ، والاستقبال يخليه للماضى .. اذن هذا معنى قولهم (لم) حرف نفى ، لأنه نفى ما بعده وجزم لأنه فيه صورة السكون . وقلب ، بعد المضارع ما كان يدل على الحال أو الاستقبال ، أصبح يدل على الماضى .. هذا معنى قولهم (لم) حرف نفى وجزم وقلب .. نقول : لم يـكتب محمد .. يكتب هذه قبل ما تدخل (لم) كانت للحال ، يكتب محمد حالا أو يكتب فى المستقبل ، الماضى ليس له علاقة بها.

لكن عندما قلت لم يكتب ، يعني ما كتب في الماضي ، ويصح انه يكتب الآن . لم يكتب أمس ثم كتب الآن . اذن بعد أن كان المضارع صالحا للحال والاستقبال صيرته (لم) للماضي .. هذا في (لم) . لها اخت ثانية اسمها (لما) .. هي حرف جزم وقلب أيضا ، لكن فيه خلاف بينهما .. ما هو ؟ . المنفى بـ (لما) يشترط ان يصل منفيه بساعة الكلام ، حتى وساعة الكلام لم يفعل .. انما (لم) لا يشترط .. لم يكتب من قبل ثم كتب الآن . يبقى اذن النفي ليس متصلا بساعة ما تكلمت ، يبقى النفي للزمن الذى قبل ما تكلمت .. لكن عندما نقول : لما يثمر بستاننا .. يبقى والى الآن لم يثمر . هذا هو الفرق بين الاثنين .. يبقى اذن (لم) نفيها غير مستمر الى زمن التكلم و (لما) نفيها مستمر الى زمن التكلم .. وفرق آخر ان (لما) يبقى متوقع انك تعمل ، و (لم) ليس ضروريا .. تقول : لم يكتب ولم يكتب يصح .. انما لا تقول لما يكتب .. ولم يكتب لأن لما يكتب لا تقال الا اذا كان لم يكتب في الماضي انما سيكتب بعد ذلك .. يبقى هذا هو الفرق بين الاثنين .

ولذلك لما سمعوا « **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .. ولما يدخل الايمان في قلوبكم** » يعني لم يدخل الايمان في قلوبكم ، انما فيه بشارة انه يدخل ، ولو قال ولم يدخل ، ما كانت فيه البشارة هذه ..

هنا نلاحظ ان همزة الاستفهام ، هي حرف معنى ولم حرف معنى .. فماذا تستفهم ؟ .. انت عندما تقول :

اكتب محمد ؟ تبقى استفهمت كتب أم لا .. امحمد جاء .. محمد جاء أم لا .. فماذا تستفهم فى (الم) ؟ هذه .. اعزل همزة الاستفهام وهات (لم تر) كأن الله يريد أن يستفهم عن نفى ، لأن الكلام بدون الهمزة ماذا ؟ .. تقــول : اكتب محمد .. انت تقول : اكتب محمد ؟ تستفهم عن كتب .. هل محمد كتب هذا ام ابراهيم ؟ تستفهم عن الكاتب ، يعنى الكتابة موقن بها ، لكن تستفهم من الذى كتب .

عندما يقول ربنا « **الم تر كيف فعــل ربك باصــحاب الفيل** » يبقى هذا نفى ام لا ؟ نفى عنه أنه يعــلم فلمــا جاء يستفهم أيستفهم عن ذلك النفى تقول : نعم يستفهم عــن ذلك النفى .. افرض أنه ليس نفيا ماذا يكون ؟ « **ترى كيف فعل ربك باصحاب الفيل** » يبقى البت أم لا ؟ .. هـــذا أصل الحدث . الحدث عندنا رؤية ما فعل الله باصــحاب الفيل . يبقى عندنا ثلاث نسب : رأى ما فعل ربه بأصحاب الفيل لم ير ما فعل ربه بأصحاب الفيل .. جاءت الهمــزة هنا ، الهمزة تريد أن تستفهم عن المثبت ام على المنفى أم يريد أن يستفهم عن ماذا ؟ عن الفعل المثبت ، أو عن الفعل المنفى ؟ .. مرة تأتى الهمزة للتقرير يعنى لتقرير ما بعدها . لماذا التقــرير ؟ لأن الخطاب مرة يــكون من المتــكلم ، خبرا صالحا لأن يكون صادقا ولأن يــكون كاذبا . مرة يشــارك المخاطب فى اثبات الفعل .. تقول : أأحسنت اليك قديما ؟.. كنت تقدر انا أحسنت اليك قديما . ولكنك لم تقل ذلك ، ونقلت الكلام منك انت يا متكلم ، الى المحسن عليه ليقول هو

.. فكأنك نفروه بما بعد المدلول ، ولا تنقل الكلام منك اليه الا اذا كنت على ثقة بانه سيقول : نعم أحسنت الى . والا فما الذى يجعلك تنقل النسبة من نفسك لتعطيها للمخاطب ؟ .. اذن لا يقال ذلك الا وانت واثق من ان المخاطب لا يمكن ان يقول الا نعـم احسنت الى ، ويبقى ليس كلاما منك ، ولكن اقرار منه ومادام اقرار منه يبقى حجة فى اثبات الفعل .. لانه قد يكون من المخبر دعوى ، ولكن اذا ما اشـترك المحسن عليه فى الفعل يبقى باقراره هو .. يبقى اسمها همزة تقرير .. أأحسنت اليك ؟ .. تقولهـا لمن ؟ . تقولهـا لمن احسـانك عليه لا يحتاج الى تدليل ، وكأنه لو ترك وشـأنه لقال : نعم احسنت الى .. فكأنك اقررته بالفعل .

مرة لما تقول : أأحسنت اليك ؟ قد يكون ايحاء بالجواب .. انت عندما تأتى للطفل الصغير وتناقشه فى بعض الأشياء، عادة يجيب بالأخـيرة ، التى هى آخـر ما علق بذهنـه .. ضربتك ياولد أم لم أضربك ؟ فيجيب بالآخرة ، وعندما تريد أن تضلل الولد تجعل له الأخيرة مطلوبك ، مادام يجب بالأخيرة تجعل الأخيرة مطلوبك ..

مادام مطلوبك انك احسنت اليه فتقول له : الم احسن اليك ؟ أم احسـنت اليك ؟ . فيقول الولد : أحسنت الى .. يبقى هذا فيه ايحاء بالجواب .. ويمكن لو قلت له أأحسنت اليك أم لم احسـن اليك ؟ يمكن يقول : لم تحسن الى .. فكأن بعض طرح السؤال ايحاء بالجواب .

فالحق سبحانه وتعالى حينما يأتى ليقرر بشىء ، لا يقرره بصيغة الاثبات ، ولكن يقرره بالصيغة المقابلة للاثبات ، ثقة منه بأنك لا تستطيع ان تقول الا الاثبات . فقال له : أنت لم تر ما فعل ربك بأصحاب الفيل .. كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا .. لقد رأيت .. فلم يقرره برأيت ربما يكون ذلك ايحاء بالجواب .. لا .. جاء به بالمقابل .. كأن عندما يقول واحد مثلا : والله أنت جافينى ولا تعطينى حقى .. فتقول له : والله صحيح أنا جافيك ولم اعطك حقك .. أنا لم أحسن اليك يوم كذا ، لم أقدم اليك كذا ، لم أصنع معك كذا وتأخذ تعدد له لم ولم ولم ، مع ان هذا حاصل أم لا ؟ لم ادعوك الى بيتى مثلا كذا .. لم أواسيك فى كذا .. ولم أهنئك فى كذا .. أنت لم تقل له : لقد هنأتك وعملت كذا وكذا ، انت جئت بالنفى ، وهذا معناه أنك واثق من أنه سيرد النفى الى اثبات ، وكأنك لم تأت له ، بل جئت له بضد الدعوى حتى تكون اجابته الصدق باثبات الأمر .. فكأنك كنت تستطيع أن تقول له : لقد فعلت معك كذا .. لا .. أنت جئت له بالعكس انا لم أفعل كذا ، ولم أفعل كذا .. فكأنها أمر من الوضوح بحيث لا يستطيع المستفهم منه أن ينكر ذلك بل جاء بما يناقض القضية .

فكذلك قال الله لرسوله انت لم تر كذا .. كأن الرسول يقول : لا أنا رأيت فكان همزة الاستفهام اذا دخلت على غير منفى فكأنها تقرر بالفعل .. أأحسنت اليك ؟ تقرره بأنه أحسن اليه .. واذا دخلت على الاستفهام ، لك ان تقول أنها

تقرر ما بعد النفى ، أو تنكر النفى وما بعــده .. التلميــذ يشتكى الى أبيه ويقول له : الاستاذ ضربنى .. الاستاذ لم يضربه ولا شيء .. فيقول : أنا ضربتك ؟ كأنك تنكر أن يكون قد حدث منك هذا .. الهمزة للانكار . ماذا تنكر هنا ؟ فكأننا ننكر النفى .. لم تر ما فعل ربك باصحاب الفيل .. انا لم أنكر أنك لم تر ، يعنى اثبت انك ترى .

فمرة تأتى الهمزة للاستفهام المحض ، ومره تاتى لتقرير ما بعدها ، اذا كان فعلا مثبتا ، ومرة تأتى للانكار انكار ماذا ؟ انكار الفعل المنفى ، ومادمت قد أنكرت الفعل المنفى فقــد أثبت الفعل المثبت ، يبقى ينشأ من هذا رأيت ما صنع ربك باصحاب الفيل على ابلغ أسلوب .

هنا نلاحظ أن (ترى) وردت فى الكتاب الكريم دائمــا ويأتى معناها بألم تعلم .. ((**الم تر أن الله يسجد له من فى السماوات ومن فى الأرض**)) . كل ((**الم تر**)) يعنى الم تعلم .. وما الذى جعله يحذف كلمة تعلم ويأتى بكلمة (ترى) ؟.. لأن وسائل العلم عند البشر : الحواس اولا ، وبعد الحواس تأتى المعقولات . يعنى الحواس تستقبل ، وبعــدين تختمر المحسوسات تكون منها المعلومات العقليــة . وهذه يشــير اليها الحق سبحانه وتعالى فى قوله ((**والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعــل لــكم الســمع والأبصــار والأفئدة**)) كأن وسائل الادراك تعطينى ، أنا خرجت من بطن امى لا أعلم شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة يبقى

كم وســائل العــلم ؟ ثلاثة .. الحواس المركزة فى أمهــات الحواس التى هى السمع والبصر وبعدين الأفئدة التى تفقه المعانى . والترتيب هكذا ترتيب طبيعى دائما .

كأن الله اخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيئا ، وبعدين جعل لنا السمع ، يعنى الله يمتن بأنه أخرجنا لا نعلم شيئا ثم علمنا ، لم يقل ثم علمتم ، جاء بأدوات العلم **« جعل لـكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »** ماذا نشكر ؟ يبقى لازم فيه نعمة حصلت بهذه الوسائل ، وهى نعمة العــلم .. يبقى كأن الحق يقول : ـ **« والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا »** ثم علمكم بأن خلق لكم وسائل العلم متطورة مع اعماركم العقلية ، فمرة يكون علمكم من السماع ، ومــرة يكون علمكم بالرؤية ، ومرة يكون علمــكم بالاســتنباط من المسموع فتســتنتجون منه معلوماتكم . فلعل هــذا يجعلكم حين تعرفون هذه المعلومات بتلك الوسـائل تشكرون الله ، لان الشكر لا يكون الا عن وجود نعمة .

كنا تعرضنا لمثل هذه الآية زمان ، فى أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن وســائل العلم قال الســمع والبصر والفؤاد .. وقلنا هذا كلام منطقى مع علم وظائف الأعضاء ، لأنهم اثبتوا لنا حاسة السمع هى أول حاسة تؤدى مهمتها فى الانسان عندما تأتى للوليد الصغير وتجعل اصبعك أمام عينه لا يطرف ، لأنه لم ير شيئا ويبقى على ذلك من ثلاثة أيام . وبعدين تؤدى عينه مهمتها ، لكنك لو صرخت بجانبه

صرخة ينفعل . فمعنى ذلك أن الأذن أدت مهمتهـا قبـل العين .. يبقى اذن ترتيب منطقى ان يكون : السمع والبصر، وهذا باستمرار فى القرآن كله : السـمع والبصر ، السـمع والبصر ، بهذا النظام وأيضا فان السمع هو الوسيلة الأولى لتلقى العـلم ، حتى المرئى لك بالعين . أنت لا تقـرأ الا اذا تعلمت فن القراءة .. نتعلم ان هذا (الف) وهذا (باء) .. اذن فلابد قبل أن تقرأ بعينك لازم تسمع ان لم تسمع يبقى لن تعرف ..

السماع قد يكون اخبار من غير . ولكن الرؤية تجربة شخصية .. يبقى اذن أقوى أنواع العلم ، هو ليس الذى سمعته ، انما هو ما رايته ، لان هذا تجربة شخصية . غيرك سمعة وقال لك ، صادق أو كاذب انما الذى رأيته .. ليس مع العين أين .

لذلك جاء الحق فى مرتبة العلم وقال ((ألم تر)) فكأن العلم الذى يقوله الله لك ، ويخبرك به وأن كان غيبا ، يجب أن تستقبله من الله استقبال أقوى من وسائل الادراك لك وهو العين ، كأنك تشاهده .. ولذلك هذا هو السبب فى أن الله يقول ((ألم تر)) مع ان رسول الله ولد عام الفيل ولم يكن قد راى القصة ، ولكنه أخبر .. ولما اخبر من الله بالحادثة فيجب ان يكون أخبار الله أقوى وسائل العلم ، أقوى من رؤية العين .. هذا هو السبب فى أن ((ألم تر)) ترد دائما فى كتاب الله ومعناها الم تعلم .. لماذا ؟ لأن العلم يأتى بالسماع

ويأتى بالرؤية . السماع يبقى من رؤية الغير وقال لك . لكن الرؤية تجربتك أنت الشخصية .. اذن فأقوى وسائل العلم هو ما تراه . لكن الحق حين يخبرك وتسمع منه لا تسحب قضية البشر هذه عليه ، وتقول الذى أراه أقوى من الذى قاله الحق .. لا .. الذى يقوله لك الحق يجب أن يكون قويا كأنك تراه .. « اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .. ولذلك يأتى القرآن « **أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد** » ما دام ربنا قال يبقى انتهت المسألة . عينى ربما تخدعنى ، لكن ربنا لا يخدعنى .. مادام قال يبقى انتهت .. يبقى هذا معنى « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** » .

لو قال ألم تر ما فعل ربك ، يصح ، ولكنه قال : « **ألم تر كيف فعل ربك** » فكأنه ليس مجرد فعل بل فعل على كيفية ، كيفية مخصوصة لا تصدر الا من الله . لأن الفعل قد يحدث ، ويهلك ناس ، ويموت ناس ، وينهزموا .. فكأن الحق يريد أن يلفتنا هنا لفتة الى أن فيه أسباب خلقها الله نتيجة مسببات ، كلها من فعل الله الذى خلق الأسباب من ؟ الله .. والمسببات تنتج وراء الأسباب ، هى أيضا من فعل الله ، ولكن فعل الله بواسطة النواميس المخلوقة له . وهناك أفعال تصدر من الله لا بواسطة نواميس .. الأفعال التى تصدر بواسطة النواميس قد يتشكك الانسان فى أن الناموس فاعل بنفسه . يعنى النار تحرق ، الماء يروى ، السيف يقطع .. لكن اذا حدث فعل على غير طريق

النواميس والاسباب ، يبقى هذا فعل أدى المراد ، انما بغير اسباب معروفة لى .

ولذلك هذا هو السبب فى ان الحق سبحانه وتعالى يقول « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** » فاذا رأيت سببا أدى الى نتيجة والى مسبب ، فاعلم أن الذى خلق القوة فى ذلك السبب هو الله يبقى الله فيما ظهر لك من أسباب ، واذا ما حدثت الأمور على غير قانون السبب ، وغير قانون العلة فاعلم أن الله وراء ذلك الفعل ، يبقى هو الظاهر فيما تعلم من أسباب ، وهو الباطن فيما لا ترى من أسباب .

اذن فكل شيء منه ، فحين يقول « **الم تر كيف فعل ربك** » .. من الممكن جدا أن يهزمهم بطريقة عادية ، وكانت جماعة قريش تقوم على جماعة الحبشة ويقاتلوهم وينتصروا عليهم كأن معركة من المعارك تدور بين البشر بأسباب البشر ، وربنا نقط قوى نصر هؤلاء وجعلهم يهزمون هؤلاء . انما هذا السبب عادى . لكن الله فعل ما فعل بأصحاب الفيل ، لا بأيديكم ، ولا بأسبابكم ، لكن بشيء آخر ، فوق النواميس ، وفوق الأسباب .

اذن ليس العجب من الفعل ، ولكن العجب من الكيفية التى وقع عليها الفعل ، لذلك قال الحق سبحانه وتعالى « **الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** » . وفى قول الحق سبحانه وتعالى « **فعل ربك** » لم يقل ألم تر كيف فعل الله ، أما جاء بصفة والربوبية ، والربوبية كما قلنا عند قوله

« **الحمد لله رب العالمين** » الربوبية هى التربية وهى التنمية ، وهى موالاة المربى للمربى حتى يبلغ كماله .. فكأنه يشير الى ان الذى فعل هذا بأصحاب الفيل هو ربك المتوليك ، وكما صنع ذلك بأصحاب الفيل بلا أسباب عادية فى أعراف البشر فكذلك سينصرك الله بلا اسباب عادية فى اعراف البشر .

ونحن نعرف ان حادثة الفيل حدثت فى ميلاده صلى الله عليه وسلم . حين نقول « **فعل ربك** » يجب ان نستقبل « **فعل ربك** » بقانون الله ، لا بقوانيننا . لماذا ؟ لأن كل فعل يأخذ قوته من قانون فاعله ، ومادام كل فعل يأخذ قوته من قانون فاعله ، يبقى لما اقول مثلا خطب طالب الاعدادى ، خطب طالب الثانوى . خطب طالب الكلية ، خطب الأستاذ ، خطب الاديب اخذ الخطبة بمدلول فاعلها وبقانون فاعلها لا اخذ الفعل من واقع ، والقانون من واقع آخر . مادام فعل ربك ، نقول اذن المسألة وضعت الى فعل الله فعل خلق الله مبنى على الأسباب والمسببات ، والعلل والمعلولات والمقدمات والنتائج والغايات هذا فعل البشر . لكن فعل الحق حين ينسب اليه يبقى لا يكون له هذه القوانين . فلا تفسر فعل ربنا بما تفسر به فى فعلك أنت .. فعل ربك يعنى خذ المسألة على أن ربنا الذى فعل ، خالق الأسباب يبقى من غير اسباب ، من غير مقدمة من غير نواميس ..

وفى قوله « **فعل ربك** » رد على طائفة العقلانيين الذين أرادوا أن يستقبلوا افعال الحق سبحانه وتعالى بقانون

البشر . ولذلك كانوا يردون كل شيء لا يدخـل فى معقـول البشر ولا فى قانونهم ، ويحاولون أن يؤولوه بما يخضع لقانون البشر وفكرهم وعقلهم .

هذه المدرسة طبعا نحن فى أوائل النهضـة الحـديثـة تعرفون الشيخ جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده كان أتهم الاسلام بغيبياته ، وهى التى يقف فيهـا النـاس كثيرا ، وخصوصا فى العقول المادية مثلما يقولون العقـول الرياضية ، تريد واحد + واحد = اثنين ، وتعزل الرسالات والنبوات عن مراسلها وهو الله ، وتريد أن تفسر الأشـياء بناموس البشر ، وبناموس الكون .. فلما جاءوا عند حادثة مثل هذه . الشيخ محمد عبده قال ان طيرا ابابيل هذه جاءت بمكروبات جدرى .. لماذا ؟ لأنهم مستبعدين أن الطير يأتى بحجارة وبعد ذلك الحجـارة تنزل ، هـذه مسـألة العقل لا يقبلها .. أقول له : هل تدرس النبوات على اساس انهـا نبوغ بشرى .. عبقرية انسانية ؟ انك تدرس النبوات على أن الأساس الأصـيل انها موصولة من الله ، وممدودة من الله . اذن انت لا تلغى هذه القوانين .. كون عقلك لم يسعها، فعقلك ليس حجة والا لو حكمنا العقل ، عقلك أم عقلى أم عقل أى انسان ؟ ما هو العقل الذى يتحكم فى هذا .؟ عقولنا تختلف فى الشيء الواحد ، فعقل مـن هو الحجة ؟ عقلك أنت ؟ .. مادام ربنا يقول أنا فعلت ، الفعل فعل الله .. يبقى قانونى أنا ماله ؟ .. أنت عنـدما تريـد أن تفسرها أنهـا جاءت بميكروبات وو .. الخ . مثل بعوضـة الجامبيـا لما جاءت

بالملاريا مثلا .. هذه أسباب عادية اذن أنت تريد أن تفسرها بأسباب عادية وكأن السماء بمعزل عن هذا الحادث .

هؤلاء القوم تورطوا ورطات خطيرة جدا . انهم كانوا ساعة يجدون الغربيين أو خصوم الاسلام يتهمون الاسلام بشيء ، يحاولون جاهدين أن يردوا ذلك الشيء ، ساعة ما يحاولوا يردوا ذلك الشيء حماسهم فى الرد يوقعهم فى غلطات كثيرة .. مثلا الذى كان يؤرق الاستعمار فى الهند وفى السودان ، الثورة المهدية والثورات التى قامت فى الهند ، الجهاد ساعة ما يعلن المسلمون الجهاد فى سبيل الله كل واحد يدخل براسه فى المعارك ، فكان الذى يضايقهم فكرة الجهاد . فأشاعوا وأخذوا يضجوا أن الاسلام نشر بالسيف وبالعدوان .. وكان الرد عليهم بسيطا .. نقول الاسلام نشر بالسيف كيف ؟ القوم الذين حملوا السيف لينشروا الاسلام بالسيف ، هل اسلموا بالسيف ؟ الذين حملوا هذا السيف لكى ينشروا الاسلام بالسيف ، هل هو أسلم بالسيف ؟ لم يسلم بالسيف . اذن المسألة مردودة من الأساس .. هل جاء محمد بسيف وقال له اسلم ؟ .. محمد ضعيف والذين كانوا معه ضعاف .

فالذى مسك السيف ليفتح البلاد بالسيف هل أسلم بالسيف ؟ لم يسلم بالسيف .. اذن المسألة مردودة .. فجاء منهم ناس يعملون منهم الذى يضرب بأنه انتشر بالسيف اتركوا هذه النغمة الاسلام لا يستعمل السيف الافقط لرد

العدوان عندما يعتدى عليه أحد يستعمل السيف .. فالمسلمون عندما سمعوا ذلك من المستشرقين قالوا : هكذا الاسلام ، السيف ليس فى الاسلام الا للدفاع .

وهذا هو المقصود للكيد ، أننا نوقف الاسلام عند مراد واحد ، وهو اذا اعتدى علينا نبقى نحارب اذ لم يعتد علينا نبقى هكذا ونهج الضلال يستشرى .. فأفقدوا الاسلام مهمته الأساسية التى جعلها ربنا له ، وهو أنه لازم يحارب كل طغيان يجعل حريات الناس مكبوته فى أن يختاروا عقديتهم ، لكى يكون كل مبدأ يستشرى ضلاله . فأفقدوا الاسلام ايجابيته لكى يبقى هكذا ، والمسلمون الذين دافعوا بهذا الدفاع انفروا ، عندما سمعوا كلمة من المستشرقين اخذوا ينمو فيها .

كذلك يقولون الاسلام فيه أشياء كثيرة حول سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، غيبيات لا يصدقها العقل ، مثل كذا وكذا .. فقام ناس يقولون : لا هذا لم يحدث ، أن تفسيرها كذا وكذا بالعقل .. ماذا يريدون . لكى يبعدوا عن الاسلام انه مولغ فى الأمور الغيبية ، وعزلوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عن معجزاته ، وجعلوه بشرا عاديا .

ولذلك نجد واحدا مثل هيكل فى كتاب السيرة الذى الفه قال : سأنحى المعجزات التى حصلت لرسول الله وابعد هذه الغيبيات ، وأبحث فيه كانسان عبقرى .. هم فاهمون

أننا نسر جدا لما يكون محمد صلى الله عليه وسلم القائد الأول فى الانسانية ، محمد العبقرى .. لا .. أنا لا أريده قائدا ، ولا اريده عبقريا .. يكفينى أن تقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط .. لماذا ؟ لأنك لما تقول قائدا ، وعبقريا ، وقذا ، وانسانا .. فانك تكون قد أعطيته بامكانيات الانسان، لكن لما اقول إنه رسول الله ، يكون قد اخذ امكانياته من الحق .. يبقى أعطاه فوق العبقرية ، وفوق القيادة .. يبقى يكفينى أن تقول أنه رسول فقط ، لا تعطى الصفات التى تعتقد أنك تفشنى بها ، لأنك أقصى ما تعطيه فستعطيه أوصاف الانسانية بمدلولها فى امكانيات الانسانية ، لكن حين تقول رسول الله ، اعطيته أوصافا ممن يمده .

جاء الشيخ محمد عبده فى مثل هذه السورة ، وقال انه ميكروب وو .. الخ .. نناقشه .. نقول له : هذه الحادثة أولا وثقتوها تاريخيا أم لا ؟ وثقناها تاريخيا .. هذه الحادثة حدثت متى ؟ حدثت فى عام الفيل وهو العام الذى ولد فيه رسول الله ..وبعد كم سنة بعث رسول الله ؟ بعد اربعين سنة .. ساعة رسول الله ما بعث بعد اربعين واخذ يتوالى نزول القرآن على اهل مكة ، كان هناك أناس سنهم ٥٠ وناس سنهم ٦٠ وناس سنهم ٧٠ وناس سنهم ٨٠ وناس سنهم ٩٠ وناس سنهم ١٠٠ وفيه ١٢٠ .

تمسك من أول الذى سنة ٦٠ سنة ، يعطينى كم جيلا ؟ أجيال كثيرة.. كأن رسول الله حينما نزلت السورة ، وقرأها

على القوم القوم كافرون به ، هذه أول نقطة ، وحريصون على ان يكذبوه ، ولو علموا أن شيئا ما مما انزل عليه ممكن أن يكذب ما ادخروا فى ذلك وسعا .. فلما نزل قول الله ((الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ، الم يجعل كيدهم فى تضليل ، وارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول)) . لو لم تكن الحادثة هذه عند أصحاب السن العشرين والثلاثين والأربعين والخمسين والستين والسبعين ، كما نزلت فى القرآن ، لكان من الممكن أن يقولوا بالله هل رايتم طيرا ابابيل ، أو رأيتم حجارة جعلتهم كعصف مأكول ؟ .. اذن كان من الممكن أن يكذب رسول الله .. وما اجترأ واحدا أن يكذب ذلك ، مما دل على أن الحادثة وقعت كما قال القرآن . أكانوا يعرفون الميكروب .. لا .. الميكروب عرف أيام باستور فى القرن السابع عشر .. انهم كانوا لا يعرفون الميكروب .. انما كانوا يعرفون طيرا بمدلول طير ، وأبابيل بمدلول ابابيل وحجارة بمدلول حجارة ، وكعصف ماكول ، لكان من الممكن أن يكذب رسول الله من الأجيال العاقلة أصحاب التجربة الذى هو سنه عشرين وسنه كذا .

اذن ما دام لم يكذب فى هذه ، فذلك دليل أكيد على ما حدث عام الفيل ، هو بعينه ما نص عليه القرآن .

هذه واحد .. الامر الثانى ، أننا نعرف أن الميكروب الذين تريدون أن تعزوا اليه الحادثة .. أن معنى تفسير المسألة بالميكروب انهم يريدون أن يخضعوها الى أسباب

نواميس كونية ، وليس قوة غيبية تدخلت . تقول : الميكروب هذا كما نفهم له مدة حضانة ، ليس بمجرد ما ينزل يفتت الجسم مرة واحدة . له مدة حضانة طويلة ، مدة حضـانة اسبوع .. ثم يموت الانسان ، ثم يأتى له التعفن الرمى ، ثم يفتت .. الى ان يصبح عصفا مأكولا تكون المسألة تحتـاج شهرا .. وهذا لم يحدث بدليل انه عقب بالفاء « **فجعلهم** » والفاء هذه يسموها الترتيب مع التعقيب ، يعنى مباشرة أماته فاقبره « تعابير دقيقة ، لأنه يموت فيقبر » ثم اذا شاء أنشره « ثم » هذا هو الفاصل ، النشر الحساب يأتى بعدين .. اذن التعابير القرآنية تضع كل لفظ فى مكانه « ترميهـم فجعلهم » مما يدل على انها تعقيبية ، وما دام تعقيبية يبقى قانونكم باطل فى مســألة الميكروب .. ثم أرونى ما هـذا الميكروب العاقل المثقف الذى نزل على الأعداء بخصـوصهم ولم يمس واحد من أهل مكة ؟ لا يوجد هذا الميكروب .. ميكروب موجه اذن .. يبقى اذن كلامكم هذا كله كلام باطل ، والمذهب الذى تدافعون عنه ، أنا لا يعنينى .. الذى يكذب أن محمدا رسول الله ، كونه يكذب أن محمدا رسول الله ، كونه يكذب أنه لم تحدث هذه له ما معنى ذلك ؟ .. الأصل كذب فيه .. كيف أصحح ما حدث وأنت مكذب له كرسول؟ لأن مسائل العقائد لا تؤخذ من اذنابها ، كيف ؟ بمعنى اننى لم آخذ العقائد والجزئيات التكليفية والأحكام ودرستها أولا فاقتنعت بها ، ثم آمنت بمحمد ، وآمنت برب محمد . انا الأول آمنت برب محمد ، وآمنت بمحمد ، ثم أخذت عنهما .. ليس الأصل اننى أعكس .. يعنى انا أنظر فى الجزئيات

الصادرة من الحق ، ومن رسول الله ، وبعدين أومن بهذا .
لا . . الأصـل أننى آمنت بالله بعقلى ، هذا نعمة ، وآمنت
بالتبليغ عن الله ، ثم أخذت من رسول الله ما بلغه عن الله .
يبقى أنا عندما آتى أرد الأشياء التى لا تدخل تحت نطاق
عقلى هذا الرد الايمانى يبقى أنا لم أهمل عقلى ، أنا احترمت
عقلى فى الحكم الأول ، وهو انى آمنت بأن هذا اله ولا تحكمه
قوانين ، ما دام اله ولا تحكمه قوانين ، يبقى ليس لعقلى عمل
فقط ، الا أن أوثق ، أذلك صدر عن الله أم لم يصدر ؟ فان
كان صدر عن الله يبقى على العين والرأس .

وربنا سبحانه وتعالى يعطينا امثلة فى مكونات الكون ،
حتى الحسية ، لم يجعل العقل البشرى يستنبط اسرار
الكون المخفية عند دفعة واحدة . لماذا يعطيها له تبـاعا ؟
لكى اعلم أن عقلى بطاقته وذاته ليس صالحاً لادراك الأشياء
على حقيقتها من أول دفعـة ، بل يمـر عليـه يوم جاهل
بالمسألة ، ثم يأتى عليه غدا يبقى قادر عليه . وما دام اثبت
له جهلا أمس بدليل قدرة اليوم ، فأنا اثبت له قدرة غد
على عجز اليوم ، وهذا هو معنى قوله « **سنريهم آياتنا** » ..
وما دام سنريهم آياتنا يبقى كانت مطمورة ، فلو كان العقل
البشرى صالحا بذاته لادراك اسرار الكون ، لأدركها دفعـة
واحدة بمجرد وجوده ، ثم أصبح العالم بعد ذلك مكرورا ،
ولكن الحق يجعل هناك أشياء تظل غيبا ، وبعد ذلك تصير
مشهدا ، بماذا بمقدمات ، من (أ) الى (ب) الى (جـ) .
اذن المقدمات التى أودعها الله فى الكون هى مادتى فى استنباط

المجهول .. وما دام مادتى فى استنباط المجهول لما اردها ، اردها الى الأمر البديهى .

فكأن الحق سبحانه وتعالى حين يأذن بكشف العقل لسر من أسرار كونه ، هو سر مادى . لكن غير منظور لى ، ماذا يعمل ؟ اما يهيىء الانسان الى أن يمسك المقدمات الموصلة ، يأخذ مقدمة ثم ينتهى الى نتيجة ، والنتيجة يعملها مقدمة ، وبعد ذلك ينتهى الى نتيجة ، وبعد ذلك النتيجة هذه يعملها مقدمة .. تتسلسل المعلومات وتتطور الفكرة وتتسامى وو .. الخ . ومرة باذن الله أن يكشف السر . فيأتى به صدفة.

حين يشاء الله لسر فى كونه ان يظهر .. اما ان يهيىء له المعقول التى تجعل المقدمات وتصل اليه .. واما يكونوا هم فى واد .. واما يكونوا هم فى واد وبعد ذلك ينبت الله لهم سرا لم يكونوا بصدده فى وقت هذه العملية .. يبقى أن الله حين يأذن لشىء أن يكشف .. اما أن يمهد لذلك بأن العقل البشرى يأخذ مقدمات فيصل الى نتيجة .. أو أنه يجعله يبحث فى شىء ويظهر له سرا من أسرار الكون .. واذا نظرت الى كثير من المخترعات تجدها اغلبها صدف ولذلك يجب أن تفرق بين علم الأشياء التى كانت مجهولة ثم علمتها . هى كانت غيبا فى وقت ما ولكنها ستصير مشهدا ومعلوما فى وقت آخر .. هذا ليس هو الغيب لأن الغيب المطلق هو الذى ليس له مقدمات تصل اليه ابدا . ولذلك هناك فى تفسير قوله سبحانه وتعالى « **الله لا اله الا هو الحى القيوم .. ولا**

يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » انما نسب الاحاطة لمن ؟ للبشر « **ولا يحيطون** (خلقه) **بشيء من علمه الا بما شاء »** هم يحيطون اذا شاء . فمرة يشاء أن يوفقوا فى المقدمة فتأتى بنتيجة ، ومرة يكونوا غير موفقين فيعطيها لهم صدفة ، فقد شاء لكن العلم الذى ليس مقدمات ولا نواميس كونية تدل عليـه ، لا يمكن ربنـا يعطى الوصف فيـه للخلق فى قـوله « **ولا يحيطون بشيء »** من علمه بما شاء .. لكن فى قـوله « **عالم الغيب »** .. لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول لا يظهر هو .. اذن تفضل أشياء تعملها وتصل الى النتيجة ..

يبقى فيه فرق بين غيب مطلق ، وهو الغيب الذى لم يجعل الله له مقدمات تستطيع أن تسـتنبطها كاستنباطك لأسرار الكون الموجودة فى الحياة .. وفيه غيب هو مستور عنك ، ولكن من الممكن اذا دققت النظر ، وعملت تجارب ، وملاحظات وتظريات تقدر تصل اليه ..

فالذين يريدون أن يبحثوا ظواهر الأشياء التى حدثت بالنسبة للحق فى مقدساته من رسل أو من كان على القوانين العقلية العادية ، تقول لهم : ما أغنانا من رأيكم .. لا نريد رأيكم لماذا ؟ لانكم مكذبين بالأصل فلا يعنينا أن تقتنعوا بهذه أو لا تقتنعوا .

هنا الحق سبحانه وتعالى يقول « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل »** والقصة معروفة لك « **ألم يجعل كيدهم فى تضليل »** .. وما هو الكيد ؟ « **ألم يجعل »** مثل « **ألم تر »**

يعنى جعل كيدهم فى تضليل ، اثبات وتقرير على أقوى أنواع التقــرير وهو التقــرير بالمنفى . « **الم يجعــل كيــدهم فى تضليل** » . . ما هو الكيد ؟ الـكيد . أولا مقابلة الخصــم للخصم ، اما أن يكون بوسائل المجابهة العلنيــة ، واما أن يكون بالاشياء التبينية ، ولا تأتى الأشياء التبينية الا اذا كان الخصم غير قادر على أن يغلب بالمواجهة ، فيعمل كيدا . . اذن الكيد وسيلة من وسائل الانتصار على الخصم ، الذى اعجزه أن ينتصر عليه بالمواجهة . هذا فى الواقع الكيد يظنه بعض الناس انه قوة : لا . . أنه ضعف (لانه لو كان عنده قدرة المواجهة لما بيت . ولذلك رحمــة الله على العقــاد فى موضوع المرأة كان معروفا رايه بالنسبة للمرأة وكان يسمى الناس النسائيين الذين يدافعون عن المرأة ويريدون اعطائها كذا وكذا ، فكانوا يقولون ان المرأة عقليتها جبارة ، لان ربنا وصف كيد الشيطان بأنه ضــعيف ووصف كيــد المرأة بأنه عظيم « **ان كيدهن عظيم** » و « **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » . . وفقه الله لجــواب يتلخص فى أن الذى يلجأ الى الـكيد والاحتيال والمكر هو الضعيف عن المواجهة وقال أيضــا أن الضعيف المواجهة الذى لا يملك ظروفه ، وليس واثقا من نفسه ، اذا ما أصاب فرصة ولو بسيطة يريد أن ينتهى من خصمه فيها ، لكن القوى يقول : أنا لما اتركه الآن فى أى وقت أجىء به .

وضعيفة فاذا اصابت فرصة قتلت .

كذلك قدرة الضعفاء ، الضعف عندما تأتى فرصة يقول أنا ما صدقت انها تأتى لى فاخفقنى واموته . .

اذن مرة تكون القوة والتراسة فى تنفيذ أمر من الأمور ليست منشأها قوة ، انما هى واحد ينافس آخر منافسة شريفة بالمواجهة : منشأها ضعف وخور ، كالذى يبيت لخصمه ، وآخر غير قادر على هذه المواجهة يقوم يعمل لهما مقالب ، يعمل له مكرا ، يعمل له تبييتا .

لو كان قادرا على المواجهة لما صنع هذا : فالعقاد يقول : ان كيدها حين يكون عظيما من كيد الشيطان معنى ذلك أن ضعفها فى المواجهة غير موجود .

ولذلك لا تنجح الا بالكيد والمقالب ، والذى لا ينجح الا بالكيد والمقالب ، هذا ليس دليل قوة وانما دليل ضعف .

« **الم يجعل كيدهم فى تضليل** » الكيد دائما فى خفاء لكن هذا الخفاء بين المؤمن والكافر أو الذى على وجه حق والذى على وجه باطل ، هو بالنسبة لعدوه المواجهة يعتبر كيدا ويمكن مختبىء عنى طرائقه انما الذى واقف فى جانب الحق أو فى جانب دين ، ليس وحده له رصيد من السماء ، شىء آخر .. يبقى اذن هذا الكيد ليس كيدا لأنه سيبقى مفضوحا ومكشوفا . أنت تعنى على البشر فى كيدك انما اذا كان هذا البشر ليس هو المواجه الوحيد بل وراؤه اعلى تبقى اذن مكشوف أم غير مكشوف ؟ يبقى اذن كيدك فى ضلال ولم يصل الى نتيجة ولا عقلى غاية . لماذا ؟ لأن الكيد ليس هو الذى فى بالك فقط . ووراؤه قوة ثانية .. ولذلك كلما تسمع « **انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا** » لا تعتقدوا أن هؤلاء

المسلمين الضعاف هم الذين أمامكم ، أنا الذى أمامكم ، أنتم تكيدون وأنا أكيد . فأنتم بكيدكم قد تطوفون عليهم اذا كانوا معزولين عن السماء ، انما هؤلاء ليسوا معزولين عن السماء ، يبقى من الذى يكيد لهم ؟ « **يكيدون كيدا وأكيد كيدا** » .. وبعد ذلك يقول « **ومكروا ومكر الله .. يخادعون الله وهو خادعهم** » .. اذن كل أسباب المراوغة ، متى يكون صاحبها مفتون فيها ؟ لأنه يعتقد أنه أقوى ممن يواجهه بذلك الكيد ، ويعزل المكيد له ، الذى هو فى جانب الحق أو فى جانب الايمان عن المصدر الأصلى .. اذن ما دام كيده ، يبقى (وقع نقبه على سرحان) ما دام كيده مفضوح يبقى كيده لم يصل الى نتيجة . « **فى تضليل** » والتضليل هو لا يصل الى نهاية.

« **الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل** » طبعا كلمة أبابيل الاشتقاق اللغوى من ابيل ابول .. أو هى جمع لا مفرد له مثل محامد ومحاسن .

وطير ابابيل يعنى جماعات .. وقالوا الصورة التاريخية التى نقلت الينا . وقلنا أن العربى المعاصر لها لو كان يرى فيها جزئية كذب كان ردها .. اذن فهى كما بلغتنا وأنها كانت ترمى حجارة ..

« **ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول** » .. العصف هو القشرة ، او الغلاف الذى فيه الحب . اذا أكل الحب مفهوم أن العصف هذا مثل التبن . كأن أجسامهم اختلطت وتفتت كتفتت التبن حين يؤكل ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة قريش

ويؤكد خبرا يأتى به على أوثق أنواع التوكيد ، فلم يقل لرسوله صلى الله عليه وسلم : رأيت ما فعل ربك بأصحاب الفيل ، ولكنه قال « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** » فذلك تقرير أبلغ من القاء الخبر من المخبر للمخبر ، لأنه حين يلقى الخبر بصيغة الاستفهام يجعل المخاطب شريكا فى اعداد الجواب ، فكأنه لو قال : أرأيت ما فعل ربك بأصحاب الفيل كان ذلك تأكيدا لأنه أشرك المخاطب فى استنطاقه بالجواب . ولو لم يكن المستفهم واثقا من أن جواب المخاطب سيكون بالاثبات لما ألقى عليه ذلك السؤال ونقل المسألة الى جانبه ، ولكن لثقته بأن الجواب لا يكون الا بالحصول ، يجىء بالاستفهام .

ولم يأت الحق سبحانه وتعالى بالاستفهام وحده وانما جاء بالاستفهام داخلا على النفى ، فكأنه ليس استفهام موحيا بالجواب ، لأنه استفهام عن ضد المراد بالجواب ، فقال « **ألم تر** » وقلنا ان الحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن يقرر مخاطبا بعلمه فى شىء ، يأتى به « **ترى** » وهى كما قال المفسرون معناها تعليم . فلماذا لجأ الى « **ترى** » دون ألم تعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ لأن العلم قد تكون له وسيلة أخرى بغير الرؤية ، بأن يكون مخبرا به من أحد .. ولكن الخبر من الحق سبحانه وتعالى خبر وصل فى مرتبة

اليقين الى مرتبة إنك ترى . فاذا أخبرك الحق بشىء غائب عنك فاستقبل الخبر من الله على انك تشاهده **« ومن اصدق من الله حديثا »** . **« أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »** .

فكأن الحق حين يقول : تعلم ما فعل ربك بأصحاب الفيل بواسطة ما اقصه عليك أو بواسطة ما بلغك من تاريخ قومك مع اصحاب الفيل . هذا علم له ، لكن الله يقول **« ألم تر »** اى الم تعلم . فجاء بـ « ترى » ليدل على أن الخبر من الحق سبحانه وتعالى فى الأمر الذى يغيب عن خلقه ، يجب أن يستقبل من الخلق استقبال الأمر المشاهد ، والا لو كان استقبال الأمر المشاهد اقوى من خبر الله ، لكانت عين الرائى اوثق الرائى خبر الله سبحانه وتعالى .

« الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل » .. ثم انتقلنا ايضا الى خاطر آخر وهو ، حينما يقول **« فعل ربك »** يجب أن تأخذ الفعل مقارنا بفاعله وهو الله ، فلا تخضعه لقانون النواميس ولا تخضعه لقانون الأسباب والمسببات ، ولا تخضعه لقوانين العلل .

ما دام فعل ربك يعنى اخترق نطاق النواميس ، ولا تقل كيف يحدث هذا ؟ لانك لا تقول كيف يحدث هذا ، ولا تتعجب منه ، الا اذا كان الفعل خارجا عن مالوف النواميس ، لكن مادام قال **« فعل ربك »** يبقى اذن انتهت قضية النواميس ، وقضية الأسباب ، وقضية العلل كلها ، ويجب أن ينتقل

الأمر الى فعل الله سبحانه وتعالى ، الذى خلق النواميس ؛ وخلق الأسباب .

والحق سبحانه وتعالى ، يبرز هـذه القضـية ابرازا واضحا فى القرآن ، وهو أن الحق يخلق النـاموس ويخلق القـانون ، ويخلق السـبب ، ويخلق العـلة ، لتؤدى الى المرادات منها . فهى مخلوقه له ، ولكن ليس معنى ذلك أن الفعل شرط فيه وجود النـاموس ، أو شرط فيـه وجـود السبب ، أو شرط فيه وجود العلة ، اذا نقلت الأمر الى الله هو شرط فى فعل البشر . بمعنى أنك تريد أن تجرح لابد أن تأتى بسكين ، يبقى لازم فيه سبب . عنـدما يريـد الله أن يجرح فانه يجرح بدون أن يأتى بسكين .

يبقى اذن قانون النواميس ، وقانون الأسباب وقانون المقدمات ، هذا بالنسبة لأعرف البشر ، ولكن بالنسبة لخالق هذه النواميس ، فلا توجد عنده أسباب ، ولا توجد عنـده علل ، فهو يخلق الأشياء بأسباب ، ويخلقها أيضا بلا أسباب .. ولذلك قلنا سابقا أن الحق جاء لأهم قضية يتعرض لها الانســان وهى قضـية خلقه الانســان .. كيف خلق هو ؟ فيدبرها الحق سبحانه وتعالى على انحـاء شـتى ، هـذه الانحاء لتبرهن للناس أن الله لا يحتاج الى سبب فى ابراز المسبب ، ولذلك يخلق جميعـا بقانون السـبب ، وقانون العلة ، وهو اجتماع ذكر وأنثى ، يحصـل لقـاح فينشـأ الانسـان هذا هو الجمهرة ، وبعد ذلك يعلمنا الحق أن ذلك ليس شرطا فى فعل الله ، وان كان شرطا فى استقبال الخلق

للأسباب . فيأتي الحق سبحانه وتعالى ويخلق بلا هذين ، يعني بدون ذكر ، وبدون أنثى . فيضرب لنا مثلا بآدم خلقه بلا أب ولا أم . اذن فقد امتنع السببين .. ويأتي لعيسى عليه السلام فيخلقه من أم دون أب .. ويأتي لحواء يخلقها من أب دون أم ..

اذن فقد أدار الحق وجود الخلق على أربع صور عقلية : جمهرة الناس من أبوين .. آدم من لا أب ولا أم .. عيسى من أم دون أب .. حواء من أب دون أم .. اذن ما دامت قد اديرت هذه المسألة ، فالأسباب لا أصل لها أبدا مع كون الله هو الخالق ، بل يخلق الله على اي نحو من الانحاء ، وعلى اي جهة من الجهات .

ذلك ما توحيه آية « **ألم تر كيف فعل ربك** » ومادام **فعل ربك ، لا تستصحب الأسباب ، ولا تستصحب** النواميس ، ولا تستصحب القوانين ، ولذلك لم يقل « **فعل ربك** » بل قال « **كيف فعل ربك** » لان فعل الله شيء وكيفية الفعل شيء آخر .. الكيفية التي تحدث بها الأشياء قد تكون خاضعة لسبب ، فكل شيء بفعل الله ، حتى الأشياء التي بأسبابها هي أيضا من فعل الله وبنواميسها هي أيضا من فعل الله ، ولكن حين يتخلى عن الأسباب وعن النواميس ، يقول « **كيف فعل ربك** » اي بدون أسباب .

ولذلك اذا نظرت الى قول الله سبحانه وتعالى وصفا لنفسه ، أو تسمية لنفسه « **هو الظاهر والباطن** » فواجب

أن نعرف هو الظاهر فى الأسباب ، وهو الباطن حين تمتنع الأسباب . يعنى هو خلف ذلك كله ، هو الذى يعطى كل شيء قدرة . .

الحق سبحانه وتعالى يبرز هذه الصورة من صور كثيرة جدا ويلفتنا اليها فى قوله سبحانه وتعالى « **كذلك قال ربك هو على هين** » . . مثلا امرأة سيدنا ابراهيم كانت كبيرة وبعد ذلك كانت تريد الولد ، وربنا بشرها بأنه سيهبها الولد، فقالت أنا كبيرة ، فربنا قال لها « أتعجبين من أمر الله كبيرة هذه فى قانونك انت ، وفى قانون الخلق ، انما فى قانون ربنا ليس فيه كبير وليس فيه صغير ، حين يريد أن يهب ، يهب بدون أسباب » . . كذلك أيضا فى قصة سيدنا زكريا وسيدنا يحيى سيدنا زكريا كان رجلا مسنا وبلغ الضعف منه مبلغا حتى قال « **وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا** » الا انه حينما دخل على مريم عليها السلام وهى فى محرابها « **وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا** » استفهام منكر ، من أين جاء هذا ؟ لأنه هو الكفيل لها ، هو الذى يأتى لها بطعامها وشرابها وبكل حاجياتها فتعجب كيف يجد عندها هذا الرزق مع انه لم يأت به . . « **انى لك هذا** » فماذا كان جوابها ؟ « **قالت هو من عند الله** » ثم جاءت بالقضية « **ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** » يعنى بدون حسابكم يابشر ، بدون قوانينكم ، بدون أسبابكم ، فلا تتعجب أن هذا يوجد عندى . لماذا ؟ انت لم تأت به صحيح لانك السبب فى المجيء، ولكن خالق السبب هو الذى جاء به .

« ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » تنبه زكريا من هذه اللقطة الى قضية نفسه وهو أنه يريد ولد يرثه ، ولكى يكون ذكرا له ، **« هنالك دعا زكريا ربه »** .. كلمة هنالك توحى أن كلمة مريم **« ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »** يعنى خاضع لقانون النواميس ، نبهته الى أنه لما يسأل الله الولد ، يبقى لم يسأل شططا ، لأنه هو القادر على أن يعطى له ، وهو الذى وهن العظم منه واشتعل الراس شيبا .. **« هنالك دعا زكريا ربه »** لما دعا ربه قال له انا أعطيك الولد .. قال : تعطينى ولدا لقد كبرت ؟ .. يستدرك ثانيا . قال **« كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا »** .. اذن فاذا قيل **« فعل ربك »** وكيف فعل ربك ، فيجب أن لا تنظر الى الأسباب ، ويجب الا تنظر الى المسببات .

هذا ما توحى به خواطر سورة الفيل فى قوله **« ألم تر كيف فعل ربك »** .. وعلى ذلك لا ضرورة فيما ذهب اليه المفسرون العقلانيون ، الذين يريدون أن يقربوا مثل هذه الأشياء الخارجية على النواميس ، الى قضية العقل ، فيقولون : الميكروب أو غيره .. وافرض أنه بالميكروب .. قلنا لماذا ميز الميكروب الأعداء دون أهل مكة ؟ سأسلم جدلا أنه ميكروب ، حملته الطير فى أرجلها بواسطة حجارة ملوثة والقته على الجيش ، تبقى أيضا فعل ربك عجيب . ولماذا جاءت الطير بهذه الميكروبات ورمتها على جيش عدو بيت الله وحده ، دون أن تمس الميكروبات قوما من أهل مكة ؟ أيضا

شيء عجيب . كذلك اذا كان الميكروب ؟ فلماذا خرج الميكروب عن قانونه فى الفتك بهـؤلاء ؟ قلنـا أن الميكروب على فرض وجوده بالسبب الذى نعرفه ، أنه لابد له من مدة حضانة ، وبعدين يفتك بالجسم ، وبعدين الجسم لا يتحمل ، وبعـد ذلك يموت ، وبعد ذلك يتفتت الخ .. انما بمجرد ما يأتى الميكروب يجعـله كعصف مأكول ؟ فعلى فرض أنهـا مـن الميكروبات أو تبقى المعجزة كيفية الفعل عجيبة بالنسبة لهذا الأمر .

وقلنا أن كلمة الميكروب هذه لا يصح أن نوسعها هكذا . لماذا ؟ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل ، وبعث على راس الأربعين ، وعندما حدث الفيل كان فيـه ناس من الكافرين سنهم ٤٠ ، ٥٠ .. اذن شهدوا الحادثة وهم لا يعلمون ما هو الميكروب ؟ فلو لم تكن الحادثة وقعت كما قص القرآن طيرا وابابيل وترميهم بحجارة لكان هناك مندوحه على أن يكذبوا رسول الله فى أمر شهده كبار القوم ، ومع ذلك لم يحدث هذا ، مما يدل على أن الحدث وقع كما وصـفه القـرآن **« طيرا ابابيـل ترميهـم بحجـارة مـن سجيل »** .

هنا ننتقـل نقـلة فى التحام سـورة **« لا يلف قريش »** بسورة **« الم تر كيف فعل ربك »** ليس من الضرورى أن تنزل السورة بعد السورة لتكون مترتبة عليها ، وقد تنزل السورة بعد السورة بمراحل ، ولكن وضعها فى القرآن يأتى بها فى هذا الجانب . لماذا ؟ لأن القرآن كلام الله القديم له تصميم

نهائى عند الحق ، وفرق بين التصميم النهائى الذى يوجد عليه القرآن ونزول القرآن .. نزول القرآن كان يأتى حسب المقتضيات وحسب الأحداث التى تتطلبها الدعوة .. لكن القــرآن فى اللوح المحفوظ مرتب الترتيب الطبيعى ، فاذا جاءت حادثة واحتاجت لآية نزلت الآية ، لكن وضــعها فى السياق القرآنى له ترتيبة . ولذلك قلنا ان فيه ترتيب نزول حسب الأحداث وحسب المتطلبات التى تتطلبها الدعوة ، وله ترتيب نهائى وهو ما هو عليه .

قلت مرة ان انسانا يريد أن يصمم لنفسه فيلا مثــلا ويريد أن يعمل انتريه وحجرة استقبال وعدد من غــرف النوم سفرة ومطبخ .. الخ . كونه يصمم هذا التصــميم للفيلا ، التصميم فى ذهنة مرتب ، لكن مجىء المطلوبات هذه ليس ضروريا أن يكون مرتبا . من الجــائز جــدا انه وهو سائر يجد مطبخا جميلا فاشتراه ووضعه فى مكانه وفى آخر الأمر راى الانترية فاشتراه ، والانتريه هو أول ما يواجهك داخل الفيلا مع انه اشتراه آخر شىء .

اذن مجىء الشىء وسبب مجيئه ، غير ترتيبه فى التصميم النهائى .. فالقرآن من هذا الوضع على التصميم النهائى الذى كان عليه فى اللوح المحفوظ . أما نزوله فنزل منجما حسب الحوادث .

فى الوضع القــرآنى ، وضعت ســورة « **لايلف قريش ايلفهم** » بعد ســورة « **الفيــل** » انت ســاعة ما ترى جارا ومجرورا « **لايلف قريش** » هذه اللام وايلف .. ما هو الذى

لايلف ؟ لازم تشوف فعل تعلقه لايلف ،عمل جاء لايلف كذا .. يبقى نرى سورة الفيل نجد ان الله فعل ما فعل بأصحاب الفيل فجعلهم كعصف مأكول .. لماذا ؟ ((لا يلف **قريش ايلفهم رحلة الشتاء والصيف**)) لأن الحق لو ترك بيته لما يريده ابرهة من هدمه ، لسقطت مهابة قريش فى الجزيرة . لانه الذى جعل لقريش مهابة ، ما هو ؟ البيت . ولماذا تأتى المهابة ؟ لأن البيت يحجه كل العرب من أنحاء الجزيرة كلها . ومادام يحجه العرب كلهم ، اذن فالجماعة الذين حول البيت ، كل واحد من الجزيرة وكل قبيلة عرضة ان تأتى اليها فى مكانها ، فلا يمكن أبدا أن تتعرض لقافلتها حينما تسير بالتجارة لا شمالا وهى ذاهبة للشام، ولا جنوبا ، وهى ذاهبة الى اليمن ، لانه سيأتى يوم حتما تأتى القبيلة فى بطن قريش فى مكة .

اذن فوجودهم بجوار البيت هو الذى ربى لهم هذه المهابة فى الجزيرة ، فلو ان البيت هدم كما يريده ابرهة لسقطت هذه المهابة . حين تسقط المهابة ماذا حدث ؟ هم فى واد غير ذى زرع وكل عملهم من التجارة ، رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف ، فاذا ما سقطت مهابة البيت ، سقطت مهابة قريش تبعا لها ، وحين تسقط مهابة قريش تبعا لها ، تجترىء عليها القبائل فى الشمال وفى الجنوب ، كما تجترىء على غيرها من القبائل ، واذا ما اجترأت عليها صادرت تجارتها ، وما دام صادرت تجارتها ، وهم لا رزق لهم الا من التجارة ، ماذا يكون الموقف ؟ انهم يجرعون ، وأنهم

يرعبون خوفا من القبائل المتفرقة . اذن فالحق فعل مافعل بأصحاب الفيل ((**فجعلهم كعصف مأكول**)) لماذا ؟ ((**لايلف قريش ايلفهم رحلة الشتاء والصيف**)) .

لكن هل الحق رد ابرهة عن هدم البيت لهذه المسألة ((**لايلف قريش**)) ؟ . قالوا : هذه يسمونها لام العاقبة ، يعنى نجاة البيت من الهدم ، ورد ابرهة وجيشه مدحورين مخذولين ولم ينالوا من البيت سيئا . كان من نتيجته أن تظل لقريش مهابتها ، فيطمئنون على رزقهم ويطمئنون على امنهم ، فلا يهددهم أحد بخوف . لكن الحق لم يصنع ذلك لهم ، انما صنع ذلك حماية لبيته . لما حمى بيته تبع ذلك أن تألف قريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف .

جاء فى آخر سورة ((**قريش**)) بعدها ((**فليعبدوا رب هذا البيت**)) لأنهم مدينون له فى ماذا . فى أنه حفظ البيت ، الذى يجعلهم يألفون رحلة الشتاء والصيف ، الذى يامن بسبب هاتين الرحلتين يأمنون على أنفسهم من جوع ، ويأمنون على أنفسهم من خوف . ومادام عمل فيهم هذا الجميل ، وهذه النعمة يبقى يجب أن يتقبلوا ذلك بأن يعبدوا ((**رب هذا البيت**)) .

اذن ((**لايلف قريش**)) يصح أن تكون متعلقة بقوله : فعل ما فعل بأصحاب الفيل ((**فجعلهم كعصف مأكول**)) .. ((**لايلف قريش**)) .. وأيضا تأتى فى الآخر ((**فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**)) .. ((**لايلف قريش ايلفهم رحلة الشتاء والصيف**)) .. اذن

« **لايلف قريش** » بين امرين : بين أمر هو الدافع الأصيل ، وكانت تلك عاقبته ، وبين مطلوب من الله . مادام الحق قد صنع ذلك لكم ، وجعلكم تألفون رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف ، واطعمكم من جوع وآمنكم من خوف ، اذن فلا أقل من أن تقدموا اليه الشكر على هاتين النعمتين . بماذا يكون الشكر ؟ « **فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » .

اذا نظرنا الى القضيتين وهما « **اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » نجد أن هذه هى الأشياء الضرورية للانسان .. الضرورى للانسان أن يقوت حياته .. القوت .. يضمن ألا يجوع . .ثم بعد ذلك يطمئن على الا يخيفه شىء .. من اى شىء ينشأ الخوف . الخوف هذا من مصدر هذا المصدر اما أن تزول نعمة عند الانسان ، او ان تأتى مصيبة متوقعة .. يكون هنا الخوف اذن فالحق سبحانه وتعالى حينما يضمن للانسان انه اطعمه من جوع وأنه آمنه من خوف ، يحقق ما قاله الرسول : الا أخبركم بدنيا المؤمن . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من أصبح معافى فى بدنه ، آمنا فى سربة ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .. يبقى اذن حظ الانسان وسعادته فى شيئين اثنين . أن يطعم من جوع ، وأن يأمن من خوف ..

واذا نظرت الى الجذور البعيدة ، وجدت أن هذين الأمرين ، هما دعوة ابراهيم « **رب اجعل هذا بلدا آمنا** » هذا أمر الخوف « **وارزق أهله من الثمرات** » هذا امر

الاطعام من جوع .. يبقى دعوة ابراهيم فى الأمرين الاثنين انه يؤمنهم من خوف ، وأنه يرزقهم من الثمرات لأنهم بواد غير ذى زرع .

فاذا رتب الحق سبحانه وتعالى الطلب بالعبادة على ما صنعه بهم من « ايلفهم رحلة الشتاء ورحلة الصيف » يبقى ترتيبا طبيعيا . لماذا لأن المهمة الأساسية التى من أجلها ممكن هذا المكان بكم انما هو ليقيموا الصلاة ((**انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم**)) .

اذن حين يطلب الحق ((**فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**)) وعد استجابة الدعوة لابراهيم ببلد آمن وارزقهم من الثمرات وحقق لهم هذين الأمرين ، فليؤدوا الواجب منهم ، وما هو ؟ ((**فليعبدوا رب هذا البيت**)) . لان هذه هى العملية الأساسية التى من أجلها جاء ابراهيم بذريته فى هذا المكان . لماذا ؟ ليقيموا الصلاة عند بيت ربهم .

اذن ((**فليعبدوا رب هذا البيت**)) نفسر لنا ((**ليقيموا الصلاة**)) . ما هى العبادة ؟ العبادة تطلق لمعان متعددة ، وكل سياق يتطلب معنى . العبادة تطلق ويراد بها معرفة الحق . وما دام تعرف الحق ، وفاء لحق هذه المعرفة لازم تطيعه وتخضع له . لأن معرفة الحق أن تعرفه الها . أن تعرفه قادرا . أن تعرفه حكيما . أن تعرفه باقيا . كل هذه

الصفات تعرفها له . ومادام عرفت له هذه الصفات يجب أن تنقاد له .. يبقى اذن الذى يفسر العبادة بالمعرفة ، لأن المعرفة هى الوسيلة لقبول تكليف الله لخلقه ..

بعضهم يرى أن العبادة هى الخضوع . فيه معرفة وليس فيه خضوع . الناس تعرف الله لكن ليس فيه خضوع . فيه ناس عارفين ربنا وخاضعين له الا أن منهجهم متكاسلين عنه . فاذا قال الحق **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** بعض المفسرين يقولون : الا ليعرفون ؟ هل الخلق للمعرفة فقط ؟ قالوا : والا تأخر مراد الله . الا ليعبدون بالخضوع واتباع المنهج ، ففيه قوم لم يخضعوا ولم يتبعوا منهج الله . اذن تخلف مراد الله فيهم . نقول : اذا رأيت آية من الآيات لازم تأتى بنظائرها من القرآن ، هل **« ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** جاءت وحدها أم جاءت العبادة مع أوامر اخرى ؟ **« وما امروا الا ليعبدوا »** فكان يعبدون يبقى معناها يخضعون ويطيعون والخضوع والطاعة لا تأتى الا بايراد منهج ، والا لو كان مجرد الخلق تأتى العبادة ما احتجنا الى رسول ، ولا احتجنا الى موجه . كان مجرد الخلق تحصل عبادة ، ولا يحدث ذلك الا اذا جاء رسول بمنهج مبلغ عن الله .

يبقى اذن **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »** الا لاكلفهم بعباداتى اكلفهم بواسطة أوامر ، فمنهم من يطيع ، ومنهم من يعصى .

اذا نظرنا الى العبادة فى السورة نجد **« فليعبدوا رب**

هذا البيت » اى للسبب الذى من أجله جاء ابراهيم بذريته، والسبب الأصيل الذى جاء ابراهيم بذريته ليقيموا الصلاة .. اذن فكأن الصلاة هى المحور الأساسى فى العبادة .. عبادة ، لها معنى واسعا ، ولها معنى متوسطا ، ولها معنى قليلا .. معنى قليلا ، المعرفة .. معنى متوسطا ، أن تأخذ العبادة التى هى الشعائر التى تقرب الانسان من ربه ، كالصلاة ، كالصيام ، كالزكاة ، كالحج . وبقية مناهج الحياه الأخرى الذى سماه الفقهاء معاملات ؟ المعاملات أيضا منهج من مناهج الله فاذا أطعنا الله فى معاملاتنا ، الا نكون عابدين لله ؟ هذا اسمه تقسيم فن تأليفى . انهم قالوا عبادات ، ومعاملات .. فقصدوا بالعبادات الأمور التى شرعها الله لتقربك اليه ، وقصدوا بالمعاملات ما ينظم احوال هذا المجتمع . لكن اذا نظرت الى الحقيقة ، وجدت أن كل شىء سواء أكان عبادات بهذا المعنى ، أو كان تنظيما لعلاقة المجتمع بعضه ببعض ، فى نظام الاسرة ، فى نظام الحكم ، فى نظام الاقتصاد ، فى نظام الأخلاق ، كل هذا سر العبادات بمعناها العام الواسع .

فاذا كانت العبادة هنا « **ليقيموا الصلاة** » هى معناها « **فليعبدوا رب هذا البيت** » . لأن الصلاة لو نظرت اليها لوجدت فيها العبادات بالمعنى الفقهى ، والمعاملات أيضا . لوجدت فيها العبادات بالمعنى العام المراد منه ، وهو الخضوع لمنهج الله دون منهج البشر . الا أن منهج الله اقسام : هذه الأقسام أمور يفرضها الله سبحانه وتعالى . ولا ابتكار لأحد

فيها وهى الصلاة ، يعنى لا تتقرب الى الله بشىء أزيد من هذا ، لأنه هو الذى شرعه . أما أمور المعاملات فالحق سبحانه وتعالى يطرق للذهن البشرى نشاطه ، وبعد ذلك يقتن لكل أمر على حدود مستوى البيئة ، ومستوى العصر، مستوى المجتمع فى اطار الأصول العامه وتفرق أيضا بين العبادة الفقهية ، والمعاملات الفقهية ، فى أن العبادة هى مالا يضعه بشر لبشر . الكفار اليس لهم قانون يتعاملون به فى نفوسهم ، وفى أسرهم ، وفى مجتمعهم وفى حكمهم ، وفى اقتصادهم ؟ هذا نظام ضرورى . الكافر أيضا له مثل هذا النظام .

لكن لا يضع البشر للبشر أنه يقول له تعالى تقرب للحاكم بأن تصلى له ركعتين ، وما تقرب بشر لبشر بأن يقول له تعالى صم لى شهراً . لم يتقرب بشر لبشر بأن يقول له تأتى تزور قصرى كل مدة لم يحدث هذا .

اذن فهناك فارق بين العبادة أو المعاملة .. ان المعاملة هى نظم لو لم تكن مؤمنا وهناك كافرون . أيضا يعملون لهم نظاما يعيشون به . لكن العبادة لا توجد الا فى منهج الدين فاذا نظرنا الى هذا وجدنا الصلاة أخذت محلها فى العبادة المحل الأساسى ، سواء كانت عبادة أو معاملة . كيف . لان معاملات الاسلام ، فرد له علاقة بمجتمع قريب هو الاسرة ، ومجتمع بعيد وهو الأمة . العلاقات هذه لا بد أن يقوم عليها وال ، وامام ، من ينفذ الأحكام ، من يكون محلا لرفع المظلمة عن المظلوم ، من ينفذ حدود الله . اذن لابد من وجود أمام .

هذا الامام اذا نظرت الى ارقى بند من بنود المعاملات ، وهو بند الولاية فى الحكم . كيف ؟ . الصلاة مثلما قالوا انها عماد الدين . لو نظرت الى طريقة التكليف الخاصة بها ، وجدتها اختلفت عن التكليف فى التكليفات الأخرى . كل التكليفات صدرت بواسطة وحى الا الصلاة ، فقد تميزت بأنها صدرت بالتكليف من الله مباشرة . وضربنا مرة مثلا لذلك وقلنا أن الرئيس مع مرؤوسه اذا كان فيــه عملا روتينيــا يبعث له كتــابا . واذا كان فيــه عملا مهمــا بعض الشىء يطلبــه فى الهاتف ، واذا كان عملا هاما جدا يقول له تعالى عندى لأنى أريدك ، فيقول له كذا كذا ، يبقى هذا تكليف مباشر . مادام تكليفا مباشراً يبقى أخذ أهميته .

كذلك كانت فريضة الصلاة . كانت بالتكليف المباشر من الحق سبحانه وتعالى . مادامت بالتكليف المباشر من الحــق سبحانه وتعالى ، يبقى لازم اخذت أهمية كبيرة .

وأيضا ان الصلاة فرضت فى الوقت الذى ظفر محمــد صلى الله عليه وسلم فيه بأن يكون فى دعــوة ربه . ومادام حصل له هذا الظفر بالقرب من الحق ، فيتنزل الى أمتــه بتحية من الحق ، هذه التحية هى التى تقرب أمة محمد الى الله ، كما قرب محمد الى الله . ولذلك تجــد ((**واسـجد واقترب**)) فكما اقترب رسول الله ليلة المعراج بربه كذلك أمته تقترب من الله بصلاتها . اذن اخذت وضعا متميزا عن بقية الأحكام . وقلنا مرة اذا نظرت الى تكاليف الاسلام هى خمسة : شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ،

واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا . تلك هى أركان الاسلام .

لو نظرت الى هذه الأركان لوجدتها متمثلة اكمل تمثل فى الصلاة . لماذا ؟ . قلنا ان شهادة أن لا اله الا الله انما تطلب من المؤمن أن يقولها مرة واحدة فى عمره . فالصلاة تحققها فى كل صلاة كذا مرة . اذن فالركن الأول الذى كان يكفى أن تقوله مرة واحدة ، تكرر بتكرره فى الصلاة تبقى اذن الصلاة فرضها الركن الأول .. وهى الركن الثانى ، فهى تحقق ذاتها . .

وفى الزكاة ، وضوعها فضل من مال ، عندك نصابا تخرج منه قدرا من المال وتعطيه للفقراء .

المال الذى جاء منه النصاب هو فرع العمل ، ليس فى الاسلام تملك الا بعمل . ومادام فرع العمل يبقى يحتاج الى وقت . يبقى الزكاة اخراج قدر من المال ، ووجود المال فرعه العمل ، والعمل فرعه وجود الوقت ، فالصلاة لا تضحى بالمال بل تضحى بالأصيل الاصيل الذى به يأتى المال تضحى بالوقت نفسه . تبقى فى عملك وتضحى به نصف ساعة لتصلى الظهر ونصف ساعة لتصلى العصر . وهكذا . . اذن الزكاة تضحى بثمرة العمل وهو المال ، والصلاة هنا تجعلك تضحى لا بثمرة العمل وهو المال ، ولا بالعمل ، ولكن بالوقت الأصيل الذى يحدث فيه العمل . يبقى اذن هذه زكاة من نوع ماذا ؟ . من نوع أعلى ، لأن الأولى جاءت لك

مائة اخرجت منها ٥ر٢ انما هنا فى الصلاة الوقت ضاع لم تأت منه بشىء أبدا . يبقى زكاة من نوع أبلغ .

وايضا فى الصلاة صيام . لماذا ؟ لأن الصيام امتناع عن شهوتى البطن والفرج . وفى الصلاه كذلك ، ممتنع عن شهوتى البطن والفرج وزيادة ، وممتنع عن مباحات الصيام أيضا . مباحات الصيام تمشى وتتكلم وتأتى وتضحك : وهذا ممتنع فى الصلاة . اذن فهو امساك عما تمسك عنه فى الصيام ، وامساك عن ازيد مما تمسك عنه فى الصيام . اذن الصلاة صيام بصورة أوسع من الصيام .

كذلك فيها حج ، لأنك كلما جئت لتصلى لربك تستحضر بيت الله أمامك بعليك . ففيها حج دائم .

اذن فالصلاة اخذت لذلك المدلول . لأنك تنطوى فيها كل اركان الاسلام وهذا من ناحية الشعائر .

بعد ذلك انظر اليها من ناحية النظام التعاملى فى المجتمع، تجد ساعة ما يؤذن المؤذن كل الناس الصالحون او الورعون ، او المتقبلون لمنهج ربهم يهرعون الى نداء ربهم ، ويتركون كل مراداتهم ، حين يهرعون الى بيت ربهم تذوب الفوارق ، فتجد الرئيس الأعلى بجانب البواب بجانب الفراش . والذى يأتى لمكان يجلس فيه . المكان لمن سبق اذن نفضوا كبرياءهم ، نفضوا غرورهم ، نفضوا الطبقية التى فيهم ، واستووا لحظة أمام ربهم فى العبودية . حين يتكرر ذلك من الانسان يخفف هوة التعالى الموجودة بين الطبقات ومادام تخف هوة التعالى

بين الطبقات لماذا يكره النـاس الفقر . لأنهـم يرون الغنى يحترم . فاذا احترم الفقير ايضا واخذ حقه من المجتمع من الواجب ومن الكرامة ، نفسه لا تحدثه بهذه المسألة ابدا ، انما هو يرى أن الغنى يأخذ حقوقا أكثر ، لكن عندما يذهب الى هذا الوضع يجد الذى كان يخيفه فى عمله ، او كان متهيبا اليه . أو استاذ يدرس له وهو يسمع منه .. الخ كلهم الى لحظة من اللحظات صار فيها خضوع لله .

اذن أول شيء ، مبدأ المساواة . ومادام يشـيع مبـدأ المساواة ، ولا فضل لأحد على احد الا بالتقوى ، فاطمئن على المجتمع . مادام حصل هذا يبقى مجتمع سـليم ، مجتمع ليس فيه تعالى ، ومادام مجتمع ليس فيه تعالى ، ولا كبرياء، ولا غرور ، يبقى مجتمع منسجم .

وبعد ذلك ننظر فنجد أن واحدا يتقدم الناس يصلى ، ليس مطلق واحد يتقدم ويصلى . بل واحد مشروط فيـه شروط . لازم يـكون أولا راضـين عنـه . اذن الامامة فى الصلاة تعلمنا كيف تكون الامامة فى الحكم « لعن الله رجلا أم قوما وهم له كارهون » . وبعدين عمـل لهـا المقاييس : احفظهم للقرآن تساووا ، يبقى أفقههم لسـنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم . استووا فى ذلك ، يبقى من له سابقة فى الاسلام . اذن أشياء مشروطة ، هى تمام ما يشترط فى امامة المسـلمين . بعد ذلك لما ترتضى الامام وتقف وتصلى . له الأمر يلتفت ويقول أول صـدور الأوامر . سووا صفوفكم

فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة . أخذ سلطته . وبعد ذلك لا يتنفس واحد بتكبيرة الاحرام الا اذا كبر هو . يبقى كلهم وراء ذلك الامام .. الله اكبر . يقولون بعده الله اكبر . عندما يسجد لا يتحركوا من قيامهم الا اذا راسـه جاءت الأرض ، يتحققوا من انه سجد . اذا جهر بالقرآن ينصتوا. مسألة الطاعة والاتباع . مادام امام جاء برضانا ، يبقى نحن ملزمون بأننا لازم نطيعه ونتبعه .

لكن انظر الى اللفته . يجيء النبى عليه الصلاة والسلام فيقول ليأتى منكم اولو الأحلام والنهى . الذى يأتى ورائى فى الصف من . هذا بمنطق الرسول ، ليس هو تكريما لأولى الأحلام والنهى . لماذا ؟ لأن الامام عرضة أن يغلط فى آية ، ينسى آية . فالذى عنده ذكر يذكره بالآية . سهى الامام ، فيقول الذى خلفه سبحان الله . ينبهه . حصل للامام عذر من الاعذار تجعله يترك الصلاة ، يجد واحدا من أولى الاحلام والنهى ويجعله اماما . هذا يوحى الينا فى السياسة العامة أيضا أن لازم الامام لا يقرب منه أبدا الا اولوا النهى ، حيث اذا انحرف قيد شعرة عن منهج الله نقـول له : حيلك .. النبى عليه الصلاة والسلام يصلى وبعـدين صـلى ركعتين وسلم . تعجب الصـحابة واحـد جرىء قال له : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ الصلاة أربعة لكن الرسول صلى اثنين الصحابة وقفوا موقفا يستدركون على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن ذو اليدين قال له : اقصرت الصلاة أم نسيت يارسـول الله . (انظر الأدب) .. فقال

الصحابة نعم يا رسول الله لقد صليت اثنين . فرجع وصلى الركعتين ..

اذن وأن كانت المهابة للامام بأن كل حركاته متبوعة ، ولا يقدم واحد بين يديه فى أمر من الأمور الا أن أولو الأحلام وأولو النهى حينما يجدونه قد انحرف عن منهج الله ، يبقى هنا تمتنع الطاعة وينبهوه الى الخطأ .

ولذلك اذا نظرت الى هذه الآيات فى القرآن الكريم تجد الحق سبحانه وتعالى لما يأمر بالطاعة مرة يقول « **أطيعوا الله واطيعوا الرسول** » .. ومرة يقول « **أطيعوا الله والرسول** » ومرة يقول : « **أطيعوا الرسول** » فقط .. يبقى كم شيء : « **اطيعوا الله** » ويكرر الأمر « **واطيعوا الرسول** » .. هنا اطيعوا ، وهنا أطيعوا . ومرة يجيء بأمر واحد ويعطفه عليه « **اطيعوا الله والرسول** » من غير تكرير الفعل ، ومرة يقول « **اطيعوا الرسول** » فقط .. فاذا أسرنا قليلا « **أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم** » لفتة فى انه لم يكرر الفعل ، لم يقل : اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول وأطيعوا أولى الأمر منكم . أن ولى الأمر لا طاعة له فى ذاته ، وأنما طاعته من باطن طاعة الله وطاعة الرسول ، فاذا انخرم عن شيء من طاعة الله ومن طاعة الرسول يبقى ليس له طاعة . ولو قال : اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول واطيعوا أولى الأمر .. كان يعطى له طاعة ذاتية يقول . لا لم يقل ذلك بل قال « **اطيعوا الله** » ثم قال « **وأولى الأمر منكم** » .. فكان طاعة أولى الأمر فى نطاق طاعة الله ، وطاعة الرسول .

هنا تعطينا الصلاة عملية الامامة العامة ، التى بها صلاة المجتمع كله . اذا كانت الامامة العامة صالحة تنفذ منهج الله . ولذلك كل خليفة من الخلفاء الراشدين يقول : أطيعونى ما اطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم .. فكأن الصلاة بما فيها من اتباع للامام وعدم المخالفة عن حركاته ، ومن سكناته ، ليس معنى ذلك انه اخذ هذه المسألة واصبح متبوعا فى كل شىء .. لا ، أنه متبوع فى دائرة نظام فاذا ما شذ عن دائرة هذا النظام ، ماذا يكون الموقف . يبقى لازم ينبه اليه من اولى الأحلام ومن أولى النهى . يبقى اذن دلنا على أن ذلك يجب على الامام العام وليس امام الصلاة فقط ، انه يجعل فى بطانته وهم ادنى الناس اليه ، أولوا الأحلام وأولو النهى . ولماذا يعنى العاقلين ؟ لأن المسألة تحتاج الى موازنة بين أن ترضى حاكما وبين أن ترضى ربا . من الذى يعدر لى هده العملية ؟ أولوا الأحلام وأولوا النهى . لا يكفى الفقه فيها ، لازم واحد يعرف المقارنة يقارن ماذا بماذا هذا أمر الله ، وذلك أمر الوالى ، يرجح جانب من ؟ صاحب العقل يقول ـ الوالى لا يملك من أمرى شيئا ، ولكنى لا أجامله على حساب من يملك لى أمر كل شىء .. ولذلك ـ يقول : اجعل مراقبتك لمن لا تخلو عن نظرك اليه ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك ، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه ، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

اذن فالصلاة بمثل هذه المعانى ، فيها جماع كل التكاليف من أولها الى آخرها . ولذلك الرسول يقول للقوم

لتنقض عرى الدين عروة عروة ، أولهـا الحـكم وأخـرها الصلاة يعني أول ما ينقضي الناس عن منهج ربهم ، يكون ذلك في الحكم . يحكموا بغير ما أنزل الله وآخر ما يبقى من سمات الاسلام الصلاة . يبقى من الحكم الى الصلاة .

نحن لو نظرنا الى منهج الصلاه بهذا المعنى ، وجـدنا انها ضرورة من ضروريات وجودنا في ذلك المجتمع . لماذا ؟ لأن المجتمع احداثه منوعة . ونحن نرى أناسا لما تكثر عليهـا الهموم ، تلجأ الى أشياء كثيرة . أول ما تلجأ اليه ، تلجـأ الى واحد يؤنسها، يعني ينسيها همومها وأحزانها ويعينها على حلها . يؤنسـها ويعينها على حلها ؟ قد يمكن وقد لايمكن .. اذن لماذا الرسول عليه الصلاة والسلام كان كلما حز به أمر قام الى الصلاة ؟ . لأن معنى حز به أمر يعني ضغطت عليه الظروف فوق أسبابه . أين يذهب ؟ يذهب الى ربه الذي لا يعجـز عن شيء . اذن الصـلاة تعتبر مفـزعا لذي الحاجة ، لصاحب الهم ، الناس تحب تنسى همومها فتشرب الخمر . نقول : لا .. أولا الخمر هذه لن تنسيك الهم . لن تقضي على الهم . هي ستـنسيك الهم ، ونسيان همك ليس معناه القضاء عليه ، أن نسيان همك معناه أنه سيظل خميرة عكننة والحق جعل لك العقل لتواجه به الأحـداث ، ليس لتهرب به من الأحداث . فأنت يصح لما يجيء لك هما يكون عندك طاقة عقليـة موفـرة . ليس تأتي للموجـود عنـدك وتذهبه . انك تحتاج الى عقل آخر مع عقلك لكي تستطيع أن تخلص نفسك من هذه المشاكل فهل تضيع أنت العقل

الذى عندك . وبعد ذلك الخمر لن تضيع الحزن .. لـكن ما أنا أذيب هذه المسألة فى أن أكون بين يدى ربى ، ومادام بين يدى ربى ، يبقى عرفت الجأ ، عرفت استغيث . وأيضا فان الحق سبحانه وتعالى هو الخالق والعبد مخلوق له ، أذن فهذا صانع ، وتلك صنعته .

قلت مرة أرونى صـنعة تعرض على صـانعها كل يوم خمس مرات ، أيوجد فيها خلل ؟ أى آلة مصنوعة ، المهندس الذى صنعها يمر عليها كل يوم خمس مرات ، يوجد فيهـا خلل ؟ لا يوجد فيها خلل . انت صنعة ربك ، فكونك تذهب اليه كل يوم خمس وتـكون فى حضرته . أنا لا أعرف ماذا يعمل هو فيك ؟ ـ ما الذى يعمله فى مشاعرك ؟ الا اننى الحظ انك لما يكون عندك هموم الدنيا ثم تذهب الى لقاء ربك بحقها تخرج وأنت مرتاح ، ما الذى حصل ؟ هل عملت لك عملية جراحية ؟ لا فماذا ؟ . من خلقك هو الذى يعرف مفاتيحك ماذا يعمل فى المفتاح الذى يجعل عندك توازنا يجعل عنـدك رضـــا ، ويجعـل عنـدك اطمئنانا ، ان اى حـــدث من احداث الحياة تستقبله وأنت لك رصيد من ايمانك بربك الذى لا تقدر عليه الأحـداث يبقى نحن عنـدما نذهب بألم عضوى لانسان ويزيل لى هذا الالم العضوى ، لأن هو مادة فيزيله بشىء مادى ، ولكن الحق غيب ، فهو يزيل الأشـياء بغيب أيضا . ماذا عمل فيك ؟ لا نعرف . فكان كلما حز به أمر صلى الله عليه وسلم قام الى الصلاة .

الصلاة أيضا فيها ما لا يوجد فى اى شعيرة من الشعائر .

لماذا ؟ الميزة التى تجعــل مفتاح لقائك بربك فى يدك . نحــن نعرف على عهدنا بالعظماء والحكام والملوك ، أن الواحد مــن رعاياهم اذا أراد أن يلقاهم ، لازم يطلب مقابلة ، هذه واحدة .. وبعد ذلك ينظر فى ذلك الطلب ، هل يوافق عليه أم لا .. ووافق .. فى ماذا ستتكلم ؟ سأتكلم فى كذا . يحــددوا له الزمان والمكان والموضوع الذى سيتكلم فيه . هذا هو نظام لقائنا . لكن انت مع ربك الأعلى ، لا تحتاج الى هذه المقدمات كلها بايمانك به وباقبالك عليه ، أنت الذى تحــدد الزمان ، وأنت الذى تحدد المكان ، وأنت الذى تحدد موضوع المقابلة ، وماذا ستتكلم .

يبقى اذن العبودية التى قدمتها بين يدى الله ايمانا به وخضوعا له ، نقلت اليك سيادة . هــذه السيادة فى انك الذى تحدد اين تلقى الله ، اذا أردت أن القى الله الآن ، بينى وبينه ان اقول الله اكبر أصبحت فى حضرة ربنا . وفى أى مكان . ثم تناجيه بأى شىء . وأنت الذى تنهى المقابلة .. اسيادة هذه أم عبودية ؟ انها عبودية أعطتنى سيادة . ولذلك يقول الشاعر :

حسب نفسى عــزا بأنى عبــد
يحتفى بى بــلا مواعيــد رب
هــو فى قدســه الأعــز ولكن
انــا القــى متى وايــن أحب

المجال لى أنا . ولذلك ساعة ما تؤمن بالحق سبحانه وتعالى ، وتدخل فى مقام العبــودية الخالصــة يقول : لقــد

اصبح المفتاح فى يدى ، تريد ان تقابلنى فى اى وقت ، فى أى مكان ، فى اى زمان ، تخاطبنى فى أى شىء تطيل معى ، تبقى طوال عمرك معى ، لا املك ، ولا اقوم ايذانا بانها المقابلة ، ولا اى شىء من هذا ابدا ، تقعد فى أنس لعبد آخر . يكفى الكل عطاء ، ويكفى الكل اقبالا ، ويكفى الكل ايناسا . نعم الرب اذن .

فالحق سبحانه وتعالى ، عندما يعطينا هذه المسائل ؛ جواز الدخول عليه اننى اصبحت عبده ، تبقى سيد ، ولذلك تجد المفتاح معك يقول « **من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى** » اذن ذكر الله لك فى نفسه ، فرع عن ذكرك له فى نفسك « **وان ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقدم الى شبرا ، تقدمت اليه ذراعا ، وان تقدم الى ذراعا ، تقدمت اليه باعا ، وان جاءنى يمشى ، اتيته هرولة** » يعنى جريا ، لما انت تهم انك تمشى الى الله يأتى اليك جريا . المسألة اصبحت فى يدك المفتاح تبقى هذه عبودية ، ام سيادة ؟ هذه سيادة ، وليست عبودية .

وبعد ذلك تجد العجيب فى الناس ، أنهم لا يعاملون الله فى جدية العبادة معه ، كما يتعاملون مع انفسهم فى هزل الحياة وفى لعبها . كيف ؟ .. مثلا نحن نرى نشاطا رياضيا ، عندما يقولون المباراة الساعة كذا . كل واحد ، يرتب وقته لازم يحضر المباراة ، لا حول ولا قوة الا بالله . ولماذا لم ترتب وقتك لأن تحضر الصلاة ؟ ، لماذا هذه واتتك الظروف وجاءت على هواك ؟ . وبعد ذلك تجدهم قد التفوا حول

الهدف وكلهم مشيرقين ، ويأخذ يمسك صفارة حكما ، عندما يضرب صفارته يبدأ اللعب ، قاضى محترم وقوانين معروفه مطاعة .. بقى اللعب تجدون معه ، ثم تلعبون مع الجد ؟ القوانين والحكام الذين نصبناهم بأنفسنا ، نعطى لها هذا الاحترام ، وهذا الانسجام ، عمرنا لم نر جماعة نصروا على الحكم أحدا . بمجرد ما يضرب الصفارة انتهت المسألة .. يا أخى هذا قانون وضعه بشر ، كيف انصعت له هكذا ؟ وأيضا فانك تلتفت فتجد أعرافا ، وتقاليدا ، ونصوصا محترمة من الجميع ، هذه مخالفة ، هذه تسلل ، معمولة بدقة وبنظام وتجد كل واحد يعرفها ، بدليل أن الجمهور الهادى قد يقول ، هذه تمدت من الحكم . كل واحد عارفها . هذا هو اللعب ، فلماذا لا تقبلون على الجد اقبالكم على ذلك اللعب ؟ لماذا لا تحكمون المنهج أيضا ويبقى عندكم غيرة عليه واحترام له . لكن عندما تقول لهم هذه أشياء انتم وضعتموها وتحترموها . يبقى أن كان الدين الذى وضعه الله اهون منكم يبقى هذا موضوع آخر . انتم الذين وضعتموه ومع ذلك تحترمونه ذلك الاحترام وباجماع .

وبعد ذلك ننظر ونرى الرياضيين المولعين بالرياضة سواء كانوا مولعين بها مزاولة ، أو مشاهدة ، او بأى لون من الألوان ، تجد أن الذى يتمرن على شىء ويصبر عليه ويحترم الذى يعطى له التعاليم ويدربه ، ويتعاون مع الآخرين . اننى أريد هذا فى المجتمع ، لانه يجب ان يكون اللعب الذى نلعبه ليس لهوا ، لأن لازم نفرق بين اللعب وبين اللهو .. اللهو شىء ليس مطلوبا منك بيشغلك عن شىء

مطلوب منك . لكن اللعب ، صحيح هو ليس مطلوبا منك ، انما لا يشغلك عن مطلوب ، لكن أنت تعمله لكي تقوى على المطلوب ، يعنى الأصل فيه انك تعمــله ؟ (روحوا القــلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت) . نحن نعمله لكن نستفيد منه فى حياتنا الجدية . يعنى نأخذ من قوانين اللعب هذه شيئا ينفعنا فى حياتنا الجدية .. الفريق الذى يتمرن جيدا ، ويصبر على التمرين ، يتعاون مع بعضه ، ويطيع أمر المدرب وو .. الخ . هذه نهايته الفوز . أيضــا نأخذ منه حقيقة ، هذه الحقيقة نقول انها حقيقة رياضية . ما معنى رياضية . ؟ انه فوز لا يغر ، وهزيمة لا تيئس . يعنى أن انتصر لا يغتر ، وان هزم لا ييأس . كذلك يجب ان تستقبل احداث الحياة ((لكى لا تأسـوا على ما فاتـكم ولا تفرحوا بما آتاكم)) . هذا هو المؤمن الصحيح . كذلك لما ننظر نجد اى مسائل اللعب مثلما قال أنيس منصور فى مقال كان قد كتبه من زمن يقول : أن ميدان الرياضــة ميــدان مكشوف . ما معنى مكشــوف ؟ كل شىء فيــه واضــح . اللاعبون أمامك . الصحيح واضح والخطأ واضح . والتحايل واضح . فيجب أيضا أن تعامل المجتمع الذى تعيش فيــه على أن الصح يكون مجمع على انه صح ، والخطأ مجمع على انه خطأ .. الخطأ لماذا يستشرى ؟ لأنه وجد فى محيط نم دلسنا عليه ، فيستشرى ذلك الخطأ . انما حين يعلم أن ذلك خطأ ، ويجمع الناس على أنه خطأ ، وحين يجمع الناس على ان ذلك صواب ، يمشى المنهج صح . لا يوجد واحد يحاول أن يحتال على المجتمع . وأيضا لو نظرنا الى الرياضــيات

التى نعملها ، نجد الناس صنعوها غاية ، ولم يجعلوها وسيله . هى ليست غاية فى ذاتها ، انما هى وسيلة الى اشياء ، وسيلة الى تربية كل هذه الالوان من الخلق ، فأنا لا أخذ الوسيلة واعملها غاية ، أن لم تكن هذه الوسيلة ، تخدم الغاية الاصيلة التى انا مخلوق لها ، يبقى اذن لا يصح أن توجد هذه ابدا ، والا يبقى انت ضيعت الفرض من أجل النفل . ولا يمكن أن يتقرب الى الله بنفل الا بعد أن تؤدى الفريضة . فريضتك الأساسية ، انك عبد الله ، موجه من الله ، فى منهج من مناهج الحياة ، لتعمر الأرض ، وليسيطر فيها منهج الله .. هذا هو الأساس كل ما يعنيك على ذلك يبقى وسيلة لتلك الغاية . فلا يجب على المرء أن يأخذ الوسيلة ليجعلها غاية ،والا انبتت الوسيلة عن الغاية ، واصبح اللعب هو الاصل ، والجد هو المهمل .

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا فى كل ما نأتى .. وفى كل ما ندع .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ..

